

مصطفى محمود

الطوفان

الطبعة الثانية



دار المعارف

الطوفان

مسرحة من فصل واحد

تفتح الستار على ظلام دافس ، ثم نسبح قرع طبل هائل يعطيه بزوغ الفجر
من بطن الظلمة ، ونرى ملائكة وسط دائرة النور الكاشف يقرأ من كتاب كبير
مفتوح ، وحوله سرب من الملائكة ترقص في تشكيلات تعبيرية على موسيقى غابة
في الصفاء والرقدة .

نسيجات سولر وكوزال ..

لا إله إلا الله . . لا إله إلا الله . . لا إله إلا الله . . لا إله إلا الله
للاله الزاوية :

في مبدأ الكون
وللملائكة سنجود
وآدم في مهد الوجود
أول بشر

فيه نفحة من روح الرموف الودود
وتحت رجله الجميع خدام
وإيليس الرجيم مطرود
بيجادل الرب العظيم
إزاي تَفْقُضُ لَطِين

على جن مخلوق من النار الشريفة
بـمـزتك يا رب
لازم حافظح الطينة الدينية
وأغوى السلالة السـدـون
وأضلـلـ الـدريـه
وأجعل لي منهم تـبـع
وعبيد وجنود
أباهي بهم جلالتك في عرش النار
والكون يبرجف والسموات حائنه م الرب
والأرض بتميد م الفـزـع
واحنأ خشوع ساجدين وساكتين
بشتمعجب من أمر إبليس
ومن الصلف والكبر والعناد والجحود
ساعنها كان آدم وحيد
ومفـيش لإبليس عليه مدخل
لما بقوا اثنين آدم وحواء
واحد يقول آه والثاني يقول لأ
دخل إبليس في أرض الخلاف

ودخل بين الأخوين قابيل وهابيل
وقتل قابيل أخوه
وجت البشرية من ضهر سفاح
تدم بالدموع ساعة الممات
وبدأت حكاية عجب...

موسى تصويرية

بظم المسرح تحلفا .

وتعود فرعة الطيل الخائل نعضها طلعة فجر أحمر . وتتحول الإضاءة
كلها إلى حمراء ومعارشات عسكرية

ثم نرى عروضاً سينائية لقصاصات من حروب مختلفة . ابتداء من
البارزات بالسيف . للاتحام بالخيول . للجيش الحارقة . لحروب
المدافع والمدفعات . لحروب الطائرات والبوارج والصواريخ والقتال
الغرية . . . ثم قطع فجائى على عروض بالية رقيقة .

ثم عروض سينموية عظيمة لمئات الآلات والمعارفين ثم لحظات من
أوبرات حب ناعمة شاعرية .

ثم لحظات لتطور العلوم والفنون من العربة للقطار للباخرة للطائرة .
لتطور العلوم الإلكترونية والأفكار الصناعية . والتكنولوجيا الحديثة وبناء
السدود والمصانع . وناطحات السحاب . والكبارى المعلقة . والبواخر
العصاقة . وعصر الفضاء . والمشي على القمر . . . ونزول فايكنج على
الريخ . . . وتصوير كوكب المشتري . ثم زحل . ثم مرة أخرى قوى
التجارات لتجارب قنابل ذرية .

ثم فرع الطيل الخائل وغرق كل شيء في الظلام . ثم ظهور الملائك
الراوى في حجر أخضر يقرأ من كتاب القدر .

الملائك الراوى يقرأ ومن حوله الملائكة جالسون في حلقة يصنعون

عصور ————— عصور

الفراعين والفرس والرومان
والهكسوس والمغول والستار
والعرب والإنجليز والفرنسيين
والروس والألمان والأمريكان
إنسان عجيب لغز طلم
فيه النور والناز والشر والخير
وَجَبُّر الجبار وحلم الحلم
ورحمة الرحمن وعزة المذل المستقم
بنشوفه سفاح بيقتل
ونشوفه شاعر هيان
في دنيا الخنان والقبل
تباركت يا رب ...
جعلت جميع الأوصاف في واحد
والأرض والسموات في ذرة
في فرد ... في إنسان بسيط من ظن
وجعلت قلبه عرش ومرايه
لأسمائك وأوصافك وسرك المكنون

وثلث على قلبه العلوم والرسالات والكتب والنوآت
والسنذر والبشائر
وأجريت على أيديه الكرامات
وصنعت له مسرح عجب
سبحانك الملك القدوس
الصانع المبدع لكل بديع
سبحانك ... سبحانك

موسيقى تصويرية مختارة من عدة مسطوانات دينية .
الملاك الراوى بقلب صفحات كتابه الكبير صفحة بعد صفحة ويطوى
صفحة بعد صفحة .

ودارت الأيام والسنين
قربنا على الآخر يا إخواني
داخلين سنة ألفين
والعلم ع الأرض ذروة
والإنسان بلغ غايته
لكن يقولوا يا إخواننا
إنه برغم التكنولوجيا والعلم
رجع الإنسان لعصر القرون
مش عارف إزاي

تعالوا ننتفـرج

نخرج الملائكة نلصقونا رمزنا من جيبه وكذلك يفعل سرب الملائكة الجميع ينظرون نلصقونا بهم إلى الأرض .

نظلم المسرح تدريجيا ثم بضئ على المنظر الآتي :

فندق رمزي ، في مكان رمزي ، نزلنا من كل الحسيات التي نعرفها .
المنظر الأول في غرفة الدكتور شاخت التي حولنا إلى معمل كيميا وطبيعة وكهرياء وخرقة . . . الغرفة مليئة بالأجهزة العجيبة ، والدكتور شاخت يقف وسط الغرفة في هذه سيجارة يكتب بطبع معادلات بالرموز على سبورة ثم يمسحها ، ثم يعود فيكتب ثم يمسخ . . . ثم يفكر . . . ثم ينادي على مدير المختق .

- مسيو أحمد . . . مسيو أحمد .

(يدخل رجل أبيض في الستين) .

- أفندم .

- جيت الخناطات ؟

- خناطات إيه . . .

- تراب اليوزانيوم اللي قلت لك عليه من أسنوع .

- مفيش . . . ما لفتش .

- مفيش إزاي . . . آمال حانعمل التجارب على إيه . . . يا متر

ده إنت عندك جبل وراك مالوش آخر .

- يا دكتور بق لنا خمسميت سنة بتحت في الجبل ده . . .

شطيناه . . . إنت ما سمعش على أزمة الطاقة . . . ما بقراش

جرايد .

- خذ من الجبل الثاني .

- ده مش بتاعنا وأصحابه رفعوا أسعاره . . . يبيعوا القنطار بمليون جنيه .

- (بصفر بقمه) مليون جنيه . . . دول مجانيين . . .

- مجانيين ليه . . . إذا كان كيلو اللحمه بق بتلاتين جنيه ، والفرخة

بخمسين جنيه ، وطبق الحميرى بستين جنيه ، وساندويتش الطعمية بعشرة جنيه ، والبدلة بألف جنيه .

- أعوذ بالله آمال الفقير حايعيش إزاي . . .

- فقير مين يا دكتور . . . الفقير مات من زمان . . . نص مكان

الأرض ماتوا م الجوع الشهر اللي فات . . . إنت ما بتسمعش راديو . . .

- فظيع . . . فظيع . . . الأمل الوحيد اللي قاضل هو العلم . . . العلم . . . الاختراع . . .

- علم مين يا دكتور . . . هو ودانا في داهية غير العلم بتاعك . . .

زبالة للمعل اللي قلت في أرميا في البحر ورائنا موت

السك . . . وماتل الحشرات اللي اخترعته عشان الصراصير

موت الصراصير والقيران اللي بتأكل الصراصير والققطط اللي

بتأكل القيران ما فضلش حاجة تدبجها لكم ع القذا .

- لكن موتنا الحشرات . . . موتنا دودة القطن مش كده .

- وموتنا القطن كمان وحياتك . . .

- ليه . . .

- ال (د . د . ث) بتاعك قتل الحشرات المضرة والحشرات

المفيدة .

- وفيه حشرات مفيدة كإنا يا مسيو أحمد ؟

- أبوه يا مسيو شاخت اتفصح إن فيه حشرات مفيدة بتأكل
الميكروبات المهلكة اللى بتضر النباتات . . . ولما قتلنا الحشرات
دى انتشرت الميكروبات المهلكة وكلت المحصول كله .
لكن طهرنا باقى المزروعات مش كده .

- للأسف . . . وتركنا المواشى الغلبانة تأكل المزروعات اللى عليها
ال (د . د . ت) بتاعك وتعرض ودبحناها . واحنا كمان كلنا
لحمها اللى فيه (د . د . ت) ومرضنا . . . فضلت سلسلة
السموم تلف وتدور لغاية ما حصلتنا . وظهر ال (د . د . ت)
بتاعك فى لبن الأم المرضع .

- وعرفت ده كله منين يا مسيو أحمد .

- من التليفزيون يا دكتور . . . ما بتفحصنى تليفزيون . . . دى
حكاية بيقلوها كل يوم اسمها التلوث . . . تلوث البيئة . . . يعنى
تصلحوها من هنا يا علما . . . وتخربوها من هنا . . . جيتو نموتوا
الصراخ موتوا البنى آدمين .

- لكن العلم . . . العلم . . . العلم هو الأمل . . . هو الآخر حابصلح
كل شىء . . . العلم الألماني يا مسيو أحمد .

- والله ما جاب أجلا إلا العلم الألماني ، والعلم للورستائى
بتاعك . . . كل علمكم فى خدمة الحروب والهلاك والتدمير .

- إنت بتشك فى العلم يا مسيو أحمد . . .

- أنا أؤمن بالعلم يا مسيو شاخت وديننا بيأمر بالعلم . لكن العلم
النافع مش العلم الضار . . . العلم عندنا هو علم باسم الله . اقرأ
باسم ربك . . . العلم الجدير بالتعلم هو علم باسم الله علم
للخير . . . إنما علم باسم الشيطان ، علم للتدمير . . . لأ . . .
إنت راجل شرق رجعى متخلف يا مسيو أحمد ، بهم يا مسيو
أحمد .

- طيب يا سيدى . . . خلى التقدم يتفكروا . . . سلامو عليكم
(يرفع يديه إلى السماء) . . . اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع ،
ونفس لا تشبع ، وقلب لا يخشع . . .

- [بصرخ] إنت رايخ فين . . . أنا علوز خامات . . . خامات . . .
خامات بقول عايز خامات .

- (فى هدوء) والله بى تنزل نجيبها بنفسك . . .

- منين . . .

- من طابور الجمعية . . .

- إنت مش بتقول إن نص سكان الأرض ماتو من شهر . . .
أبوه . . .

- يبقى لازم الخامات الباقية حاتكفيها وتريد .

- الكلام ده لو تقاضينا بعقل وإنسانية ودين . . . لكن يا خسارة
الداء اللى قل نص السكان حايقتل النص الثانى .

- هوه إيه ٢٢

- الطمع يا مسيو شاخت . . . الطمع . . . والغرور . . . وحب

السيطرة . . . والعلم الألماني . . . والتفوق الأمريكي . . . والتقدم
الروسي . . . وكل واحد يطلع برأى عاوز يفرضه . . . وكل
واحد عاوز يركب على الثاني ، وكل واحد يقول أنا . . .
أنا . . . ونحن . . . وهي . . . وهو . . . وهم . . . وهن . . . كله
ييضرب بعضه . . . ما حدش يفكر إن فيه حقيقة كبيرة فوق ده
كله .

- حقيقة إيه ؟

- إن فيه ربنا . . . وإنها مش نكية من غير بواب .

- مش فاهم !

- يعني حضرتك مش لوحده . . . ولا إحنا لوحدها . . . إنما فيه
رب خلقنا ، وحايحاسبنا ، وحانقف قدامه زى ما أنا واقف
قدامك .

- إزاي يعني مش فاهم !

- يعني مش معقول تكون صدقة إن إحنا اتولدنا وفتحنا عيننا
لقينا جنبنا إليه سبالة ، والموا بيروح ، والفواكه جاهزة
مستوية ع الشجر ، والأكل في الغيطان ، وع الباب دودة
بتغزل حزيز ، ونحلة بتعمل عسل ، وبقرة بتحلب لبن ،
وشمس بتور ، وقمر بيضوى وبتروك عزون في الأرض ،
وكنوز حديد ونحاس وذهب إيريز تحت الطلب . . . مش
معقول كل ده اترتب صدقه .

- ودى إيه دى . . . دى اسمها الطبيعة يا مسيو أحمد .

- ومين طبع الطبيعة يا مسيو شاخت ومين طوعها لك ؟
- عني .

- دى الحكاية موجودة ومتجيزة قبل ما تشغل عقلك ، وقبل
ما يتولد عقلك يا مسيو شاخت جنتنى !

- إيه دى . . . يعني إيه دى كمان .

- أما تفهم يعني إيه دى . . . ابقى ناديني . . . سلامو عليكم
(يخرج)

(يقضى نور أعظم في مربع بالحائط عليه رقم ١٢ وتسبع صوتاً بنادى)

- مسيو أحمد . . . مسيو أحمد .

- أبوه يا مستر باركر .

- أنا عاوزك في الأودة حالاً .

- حاضر .

(تظلم غرفة شاخت ، ثم تقضى ، غرفة باركر . ونرى رجلاً مثل مدير بنك
يجلس بين عدد من الخزائن الحديدية وراء شبك حديد . وأمامه أكوام
من العملة . . . مبالغ ذهبية . . . مجوهرات . . . أوراق عملة كبيرة ملصقة على
جدران الغرفة مثل الأفيشات . . . أكبرها . . . ورقة بألف دولار)

أحمد : أبوه يا مستر باركر أى خدمة .

باركر : أزمة خطيرة يا مسيو أحمد . . . فيه أزمة خطيرة في الوضع المالي
للعالم .

أحمد : إنت دائماً كانه شغللك الأزمات . . . تورد أزمات وتصدر
أزمات . . . والله ما أنت جايها البر يا مستر باركر .

باركر

: المرة دى الأزمة خطيرة يا مسيو أحمد ..

أحمد

: خير اللهم اجعله خير .

- الفلوس حصل لها تضخم .. تضخم تضخم عارف يعنى إيه تضخم ؟

- يعنى الفلوس كثر ورخصت ..

- براقو عليك .. تكثر الفلوس فى أيدين الناس تترل قيمتها ، يترل الدولار .. يرتفع الذهب ، تفلس البنوك تقفل المصانع .. بتعطل العمال يرتبك كل شىء ..

- تلفيها .

- تلفى إيه .

- تلفى الفلوس .

- إيه ده .. إنت راجل بدانى .. أمال نتعامل إزاي ..

بالمقايضة .. زى الزوج .. تخلق لى أدبك موزة ... ؟!

- ما دام الفلوس فقدت وظيفتها .

- إيه هى وظيفتها .

- وظيفة الفلوس إنها شيك فى مقابل عمل .. القيمة الحقيقية

هى قيمة العمل .. الكد والكدح والعرق .. هو الرصيد

الحقيقى .. والفلوس هى المقابل الورق .. دلوقت الفلوس

فقدت وظيفتها بقت شيك بدون مقابل ، أى رأسمال تايم فى

بنك ممكن يولد من نفسه ملايين للييه العواطلى اللى يسكر فى

البار .. يكسب له بدون ما يشتغل ، وفى المقابل فيه ملايين

من الفقرا ييموتوا من الجوع والحرمان ، لأنهم يشتغلوا للييه

الغنى عشان يزودوا فلوسه النائمة فى البنك .

- إيه ده يا مسيو أحمد إنت شيوعى واللا إيه .

- لا أبداً والله .. أنا راجل مسلم .

- وعاوزنا نعمل إيه يا مسيو مسلم ؟

- نشوف الفلوس بتولد إزاي يا مستر باركر ..

- بتولد بالحلال .

- أبداً بالحرام وحياتك .. بتولد ولادة غير شرعية بالربا والفوائد

للأموال العاطلة النائمة فى البنوك .. والسلف الاستغلالية

بفوائد باهظة للدول الفقيرة اللى زى حالاتنا .

وعاوزنا نعمل إيه .. نديكو فلوس من غير فوائد .

- أيوه تلفى جميع الفوائد والعمليات الربوية ، ونعمل الفلوس

تولد ولادة شرعية بالعمل والمجازفة فى المشروعات التعميرية .

وبعدين ؟

- وبعدين حاتترل جميع رموس الأموال النائمة فى البنوك

ونمت البلاطة .. تترل فى السوق غصب عنها عشان نعمل

مشروعات وتشغل الأيدى العاطلة ونكسب بالحلال . نكسب

بالعرق ..

- والتضخم .

- مش حايكون فيه تضخم .. هو التضخم سيبه إيه .. سيبه

- إنى أنا يا مصنع ياللى باستلف الفلوس بالربا والفوائد ..

عشان أزد الدين اللي يتراكم على أضعاف ، لازم أرفع
أسعاري أضعاف بدون داعي . ومن هنا تريد العملة السائلة

عن دواعيها وهو ده اللي بتسموه التضخم .

- ده اقتصاد جديد يا مسيو مسلم ؟

- ده اسمه الاقتصاد الإسلامى .

- إنت عاوز تخرب بيتنا يا مسيو مسلم .

- والله يا أنسى إنت اللي تخربت بيتنا ، وتخربت العالم يا مسر
باركر . روح الله يخرب بيتك بحق جاه النبي .

- بقول إيه يا مسيو مسلم . . . مين بحق جاه النبي دى . . . مين
النبي دى . . .

- النبي ده كان واحد ما عندوش فلوس ومات من غير ما يحوش
فلوس .

- وده بيتي واحد دى .

- ده بيتي كبير يا مسر باركر مش واحد وبس . . ده كان
أمة .

- وازاى بيتي من غير فلوس ومن غير تكنولوجيا . .

- بعلم جاله من عند ربنا .

- آه . . طيب وليه أمتة كلها جهلة وشحاتين يا مسيو أحمد . .

ليه كلكم عواطلية وخدامين وبوابين وطباخين وزبائين
ومساحين جزم يا مسيو أحمد . . بطل يجيكو العلم من عند
ربنا بتاعكو . .

- أيوه . . عشان مشينا وراكو وجيتو لنا الكافية . .

- والا علم ربنا بتاعكو طلع مش نافع .

- لو مشينا عليه كان نفعنا ! . لما كنا بتعرف ربنا زمان يا مسر
باركر هزمتا الفرس والروم ، وفتحنا الأندلس ، وعلمناكم
إزاي تعيشوا .

- ده كان زمان يا مسيو (كان) فعل ماضى تاريخ قديم . .
أنتيكة متاحف . . آثار . . مدافن . . طول عمرك حاتقعده
تبكى ع المدافن وتعيش فى المدافن . . اصحى بق يا مسلم
فتح عينك وشوف حالك .

- فتحت وصحيت ماشفتش حوالبه إلا البلاء . . أزمة
الطاقة . . أزمة الأكل . . التلوث . . نص السكان بيعوتوا
م الجوع . . التضخم . . الفلوس أرخص م الورق المطبوعة
عليه ، البترول أغلى م الويسكى . . الرغبة أغلى
م الألباظ . . هوا فيه غبار ذرى . . الميه فيها دود . . الناس
بتاكل بعض . . مش هي دى الجنة بتاعتكو . . أعوذ بالله
الطف يا رب (ستدير منصرفاً) تسمح لى أروح لحالى .

- إيه . . رايح فبن ؟

- رايح أغضض عينيه وأنام فى المدافن بتاعتى . . أرجع لعالم
المتاحف والأنتيكات بتاعى .

- والتضخم اللي احنا فيه . . أنا طلبتك عشان التضخم .

- والله يا أنسى أنا قلت لك على العلم اللي ربنا علمه لنا فى

حكاية التضخم دى .

- ربنا .. ربنا .. لكن أنا ما أعرفش ربنا .. أنا عاوز حد
أعرف أكله ويكلمنى .. وأفهمه ويفهمنى .. إننا ربنا
بتاعكرو ده أنا مش فاهمه .

- أما تبقى تفهمه .. اتقى انه دهل .. سلام عليكو .. إلهى ربنا
بضخمتكو كمان وكمكان ..

(بغنى، نور أحمد فى مربع بالخائط عليه رقم ١٣ وسبع صوتاً بتادى)

- مسيو أحمد .. مسيو أحمد ..

أحمد : أبوه يا بروفيسور كليوف .

- أنا عاوزك فى الأوده حالا .

- حاضر .. جايلك (بكم لغة) دوختونا بين خدمة الغرب
وخدمة الشرق .. امنى بنى بارب حانوب عليها .

(نظم غزوة باركر ثم نضى، غزوة بروفيسور كليوف .. لرى رجلا فى المنين
يلبس فراء دب ، وله حبة بيضاء أنيقة مديبة .. غزوة ملبة بنادج الآثار
الصناعية والصواريخ ، وسفن الفضاء ، وأقشاش بالية على الخائط وصور
الباليرينا ليويوفا ويرا لا نونا ..)

أحمد : أفندم .

- عملت إيه فى طلبية التصفح اللى قلت لك عليها الشهر اللى
فات ؟

- كلوها أصحاب النصيب .

- إيه ..

- بقول كلوها أصحاب النصيب .

- إزاي ؟

- الباعرة انعطت فى المحيط الهندى ، تزل عليها الهنود كلوها ..
سقوها كده من غير خبز ولا طحين ولا عجن .

- إزاي الكلام ده ؟

- أهو ده اللى حصل .. إنت عارف العالم فى حالة قرضى
ومجاعة واضطراب ، ونقص فى جميع الموارد ، وانفجار
سكانى .. عشرة آلاف مليون بنى مفتوح .. يعنى أربعة
أضعاف الحجم السكانى القديم ، ورغم موت نص السكان
الشهر اللى فات ، فإن الباقي ما زالوا ضعف السكان زمان ..
والجوع كافر .

- بكره الموت ياخذ نص الموجودين الشهر الخاير ونعيش بعد
كده مراتحين .

- أيلنا حتى لو قصف عمرهم جميعاً وفضل اتين بس حابستلوا
بعض .. المشكلة مش مشكلة موارد يا بروفيسور .. المشكلة

فى العقلية اللى بتدمر الموارد .. فكرة الصراع .. صراع الأنا
والأنت وصراع الطبقة والطبقة ، وصراع الدولة والدولة .

- ودى فيها إيه يا مسيو أحمد ؟ ده اسمه الصراع الطبقي ..
ده كله خبز .. الصراع الطبقي هو دينامو التقدم هو البترين

اللى بيحرك التاريخ لقدام ..

- الكلام ده فى كتبكم .. لكن فى الواقع والحقيقة وعلى

خريطة الأرض والبشر أدركت شاطئ الصراع عمل إيه .
- عشان الطبقة صاحبة المصلحة ما أخذتس الحكم . . لو أن
البروليتاريا أخذت الحكم كان الصلح الحال . حكم العمال
هو التقدم يا مسيو يا رجعي .

- العمال في بولندا رفضوا نظامكم يا مسيو يا تقدمي
وعلقوا صورة البابا والعدرة مريم والعمال عندكم خدوا الحكم
ولا انصلحش الحال وبشتموا القمح من الدول الرجعية ، مع
أن عندكم أكبر مزارع القمح في العالم في أوكرانيا ، وعندكم
التكنولوجيا والعلم والعمال والفلاحين ، وكله يشتغل بالصرمة
القديمة . . ليه الإنتاج هابط ويتطلبوا الرغيف من بلاد
الرجعية . .

- فيه عوامل متداخلة إنت ما تفهمهاش . . إنت راجل
بورجوازي مغفل عايش في الغيبات شرق . . حمار . .
الاستعمار غسل مخك والإمبريالية عملت منك عميل .
- ما عتدبش مانع تضل لي شئ إنت كمان وناخذته فم وتضفه
وتسغلني عميل عندك . . بس فهمني . . اقنعني الله بكرمك .
- إحنا طلعنا القمر . .

- ومش قادرين نطلعوا م للقلب البسيط ده

- مغلب إيه وبتاع إيه دي حكاية بسيطة اسمها
البروقراطية . .

- عندنا وحياتك وعارفينا في الجمعية قدام بيتنا . . ومعناها

ببساطة إن العامل والموظف مش عاوز يشتغل مع أن الدولة
دولته والنظام نظامه . . . الكل قرفان من عبثته . . ليه . .
لازم فيه شيء ناقص . .
- بنقول لك فيه عوامل متداخلة . .

- هي إيه . . ليه ما نتكلمش بصراحة ونقول إيه اللي ناقص . .
العالم كله ييموت . . تفهم الحقيقة قبل ما تحوت عشان تموت
بشرف نبق اسمنا مع الأقل حاربنا باقتناع .

- صراع المبادئ يا مسيو أحمد ده اسمه صراع المبادئ .

- أبدا . . كذابين . . مفيش مبادئ . . الشيوعي يقتل
الشيوعي في كمبوديا . . والماركسي يقتل الماركسي في فيتنام
والصين ، والمسيحي يقتل المسيحي في أيرلندا . . والبعثي
يقتل البعثي في سوريا والعراق . . والقومي العربي يقتل
القومي العربي في كل مكان . . كذب . . مفيش غير شهوة
القتل والسلطة صديق يا بروفيسور كلينوف جميع النظم
فاسدة في الشرق والغرب ، لأنها قائمة مع الحسابات المادية
وحدها ، على المصالح المادية والأرقام ، وعلى الواقع المادي
وحده ، لكن الإنسان مش جسد بس . . وفي السويد منتهى
الرفقاء المادي والحرية المادية والجنس بلاكبت ، لكن تلاقى
أعلى معدلات الجنون والاشجار . . ليه . . لأن البطن شبع
والغرائز شبعت لكن الروح عطشانة والفطرة مشوهة .

- ليه ؟

- لأن الحياة خلقت من فكرة الله والحلوة والعدل المطلق ..
- وأصبحت مستطحة .. أصبحت مجرد أكل وشرب ..
- وجنس .. وبغدين التراب ..
- ما هي كده يصحح يا مسيو رجعي ..
- أبداً هي مش كده يا مسيو تقدمي .. ويوم ما خاتني كده
- الواحد حاجب بالملل والسخت والصغير .. وحاجتجن فعلاً
- أو يتحجر ..
- أو يشرب خمرة ..
- بالضبط ..
- ومن حسن الحظ أن الخمرة أرخص حاجة اليومين دول ..
- لأن كل شيء حُمض ، كل شيء بق حُمضان يا بروفيسور
- كلينوف ، والعالم كله بق حُمضان ..
- إنت اللي راجل درويش محك حُمضان يا مسيو أحمد ..
- محك حُمض من قرابة الكلام الفارع اللي بتقراه ..
- أنا حاديك تذكرة نروح الباليه بكرة تداوى الحُمضان اللي في
- محك .. إنت شفت بولا نولا الباليهينا الجميلة ..
- شيء جميل فعلاً .. رائع ..
- فراشة .. ملك .. نسمة حلوة وسط الحياة المادية اللي بتقول
- عليها .. صديقتي المسرح عندنا يقوم بدور العبد ..
- معنديش مانع بس يدلني على ربنا ..
- ربنا مين .. ما توهنيش في كلمات هماري ، خديني من

- ايندي وربي ربنا بتاعك وأنا آآمن معاك ..
- إنت مش قادر تشوف الإلكترون وهو أفتح شيء ، حاشوف
- ربنا وهو أعظم شيء .. بالكثير آخر ما توصل له إنتك
- حاشوف بولا نولا .. الفراشة .. الملك .. النسمة الحلوة ..
- على أنغام رمسكي كورساكوف وطبق كافيار وكاس فودكا ..
- مدهش .. وفيه أحلى من كده ..
- فيه ..
- فيه إيه يا مسيو أحمد ؟
- الجنة ..
- خليك لك والحقتي أنا بطبق الكافيار قوام أنا في عرضك ..
- وصل نمة لألف جنيه وحياتك في أزمة الأكل الراهنة ..
- شفت .. يا غصارة .. بق دلوقت أيعدم الجنة ..
- ويكره خايني أيعدم الطلوع للقمر .. السنك اللي يطلعوا
- منه الكافيار مات كله في البحر بسبب الطوف ..
- فعلاً .. إحنا راجعين لكارثة ..
- (يضيء نور بنفسجي في مربع بالخائط عليه رقم ١٤ ونسج صوتاً ينادي)
- مسيو أحمد .. مسيو أحمد ..
- أيوه يا مسيو أرمطو فوليس .. أنا غارف .. لازم غاوي
- تصدعني زي كل يوم .. ما هو مقيش وراك إلا الجدل
- وتصديع الرأس ..

- مسيو أحمد .
- أفندم . . حافير . تحت أمرك . . أنا عارف ربنا بخلقك
- علشان تعذبنا . .
- (نص : غرقة أرسطوفوليس ونرى أحمد داخل)
- أرسطوفوليس : ومين عرفت إن ربنا خلقتي . . وإذا كان ربنا خلقتي يبقى مين خلق ربنا .
- أعوذ بالله . . حانرجع للدمومة ثاني . ما هو يا مسيو
- أرسطوفوليس لو كان ربنا حاجتناج لخالق بخلقه ما كانش بق
- ربنا ولا كنا سميناه خالق . .
- يعني إيه . .
- يعني بنقول عليه لم يلد ولم يولد .
- ليه . . فهميني . . إثبت لي . . برهن لي . .
- يا رب لطفك . . يا رب حلمك . . حاقول إيه للراجل
- أبو عقل خشان ده . . يا أستاذنا مش معقول الخالق
- حايخضع لقوانين مخلوقاته .
- اقنعني بالجدل والمنطق . . أنا راجل بتاع منطق .
- يعني مش معقول ربنا حايخلق الزمان والمكان والميلاد
- والموت . . ويبقى هو كان خاضع للمكان والزمان والميلاد
- والموت . . لازم حايكون فوق القوانين اللي خلقها .
- أمي حكاية فوق دي هي كل المشكلة اللي معدياني . . تفكر
- إن فيه حاجة فوق . . إنت متأكد إن فيه حاجة فوق .

- ما دام في تحت يبقى لازم فيه فوق يا مسيو أرسطوفوليس .
- بيعجبني عقلك الهندسي ده . . فعلاً مش عجيبة إن المسطرة
- والبرجل والمنقلة والمزولة طلعت من عندكم يا عرب .
- والحساب كان والكسور العشرية والقلك والتشريح والمزيكة
- والتواشيع .
- لكن الفلسفة طلعت من عندنا إختا من أثينا .
- الله يبارك فيكم وفي فلسفتكم ، خلعت الحيرة حيرتين والسؤال
- سؤالين والسؤالين ألف وما جاوبش على أي حاجة . .
- عكزت البحر وما اضطادش بحكاية واحدة . .
- ما طلعتاش . . بأي جواب شافي .
- مش لازم فلاق جواب . . المهم تفكر . . تفكر .
- فكر زي ما أنت عاوز بس اطلع لي بقايدة . . اطلع لي
- بنتيجة . .
- القاييدة . . القاييدة . . القاييدة . . إنت زي البهم اللي
- ما يهوش إلا البرسيم .
- وهو حد لاق برسيم دلوقت ، ده عود البرسيم بخمسة جته .
- القاييدة الأكيدة إن مفيش قاييدة . . والكل أخرته الموت
- والتراب والحسبة خسرانة . . والنتيجة صفر .
- إنت بقيت هيبي يا مسيو أرسطوفوليس . . والا إيه .
- أنا أصلي دائماً بفكر على آخر موضة .
- إنت متأكد إن الشجعة صفر .

- مقيش حد رجع بعد الموت بقولنا .. وزينا ما نزلش على
وحى ..

- ومعقول رينا حايكلم الله زيك ..

- وليه لأ .. مش هو رحيم غفار وكله حجة ..

- ما انت قطعت الحبل اللي بينك وبينه .. قطعت ملك
التليفون .. حاتسمعه إزاي .. ما فضلكش إلا شيطانك
غاوره وتجاوزك ..

- وكمان بتصدق إن فيه شيطان ..

- زى ما فيه ميكروب أنت مش شايقة يبق ممكن يكون فيه
شيطان أنت مش شايقة ..

- ممكن شىء ومؤكده شىء تانى .. أنت بتكلم عن احتمال ..
ومطلوب منك إنك ترفع الاحتمال إلى ترجيح ، ثم ترفع
الرجحان إلى توكيد ، عشان يبق كلامك علمى مش كلام
دراويش مغفلين ..

- الله يسامحك ..

- مقيش شيطان ولا حاجة يا عربى يا عيط .. الشيطان هو
الشناعة اللي بتعلق عليها عيوننا .. الشيطان الحقيق هو إنت
وأنا ..

- هو أنت فعلاً .. صدقت فى الكلمة دى ..

- قصدك إيه ..

- قصدنى شوف اللي تشوفه وصدق اللي تصدقه .. واعتقنى ..

لوجه الله .. وجعت لى دماغى .. سلام عليكم ..

- إيه إنت رايح فين يا عربى يا محبول ..

- يا راجل سيبنى فى حالى الله يهديك ..

- برهن لى أولاً بالمنطق على حكاية الشيطان بتاعك ده ..

- واثبت لى بالمسطرة والبرجل إن فيه شيطان .. وهات لى شيطان

صغير أتفرج عليه .. كلمنى مرة واحدة كلام علمى .. اعمل

لى تجربة .. أنا راجل تجريبنى .. حط لى جل على زعفران

على كبريت وطلع لى شيطان أو مسحوق شيطان .. أنا راجل

علمى .. أنا عاوز معامل وتجارب !

- ياسيندى تخليك على أد علمك .. وتخلينى على أد علمى

واعتقنى .. ارحمنى .. الله يرحمك ..

- أنا عاوز منطق .. عاوز حثيات .. عاوز استدالات ..

عاوز مقدمات ونتائج .. عاوز إثباتات .. عاوز وقائع

شيطانية صريحة ..

- (بصرخ) وهى فيه وقائع شيطانية أصرح م الى احنا فيه ..

يا راجل بص حواليك واعتبر (بقلت من ليه) يا هوه ..

يا لطيف .. يا حفيظ احفظنا ..

- عربى عيط عقلول بياع مسيح وشخاشيح ..

(يضىء لود أزرق فى مربع بالحائط ونسمع ميكروفون يقول) :

- من فضللكو .. جميع نزلنا التصدق مدعوون للاجتماع بالقاعة

الكبرى فوراً للأهمية .. الرجاء عدم التأخير ..

(يظلم المسرح . . ثم يضاء شيئا فشيئا فترى صالة كبرى وتترى نزل الفندق

قاصدين من الأبواب الخلفية . . صر شاحت . . صر باركر . . بروفيسور
كليوف . . والأستاذ باكونين والزماني الغربيان بوجود دوجو والسيطان مطسو
ومير أحمد المزدوريل ورجل ياباني ورجل صيني ورجل آخر في ثياب
هندية والإمبراطور بوكاسا والملكة مريام في ملابس (الرفيقة)

صر باركر هتف متكلما

- في الواقع أنتم مدعوين النهاردة للذكر في وضع العالم
المدقيق . . العالم يا جماعة على حافة كارثة ويمكن ينتهي بين
يوم والثاني . . ولحق كلنا تاريخ وآثار وحفريات ، وإحنا
عاوزين نفكر كلنا ، ونحاول نشوف هخرج . . نحاول نشوف
حل . . وكل واحد يقول لنا تعمل إيه ، وطبعاً أنتو عارفين
المشكلة . . الانفجار السكاني تجاوز حدود الموارد المتاحة ،
وفيه أزمة أكل وأزمة طاقة . . وتلوث البيئة أثقلت الثروة
الحيوانية والنباتية . . ويهدد الإنسان نفسه بالهلاك . .
والنضج جعل العملة بدون قيمة ، والجماعات بتضجر في كل
مكان ، وأمراض وأوبئة من أنواع جديدة بتواجهنا لأول مرة
ومش عارفين تعمل إيه .

(بروفيسور كليوف ، يضع في يده سيجاراً ويضعه فملاً في هدوء)

- أنا ما زلت مصرّاً على رأيي أن جميع المشاكل والتناقضات
خاتمتها إذا حكمت الطبقة العاملة صاحبة المصلحة . . جه
اليوم اللي نقول فيه . . يا عمال العالم اتحدوا لتحكموا وتقودوا
التاريخ . .

(الأستاذ باكونين يرفع أصبعه)

: الأستاذ باكونين . . اتفضل .

: بالعكس جه الوقت اللي نحل فيه جميع الحكومات ، ونحرر
الإنسان من جميع أجهزة القمع والضغط . . ومن جميع
الهياكل الفوقية . . جه اليوم اللي نقول فيه . .

: يا جميع النظم ثبت إفلاسك . .

: يا كل الحكام خربو بيتنا . . إظالبكم بالتسحي .

: يا كل القوانين . . ثبت عدم صلاحيتك .

: لتسحي كل القوانين وكل الضوابط ، وكل النظم ، وكل

الهياكل السياسية . . وليفعل كل إنسان ما يحلو له .

: دي نيق اسمها الفوضى .

: بالضبط . . تجرب الفوضى مرة ما دام النظام فشل . . أنا

فوضوي وأطالب بالفوضوية الكاملة . .

: نعمناها نعالج انتشار السرقة بإشاعة القتل . . أنا أقهم إن إحنا

نعالج نظام فاشل بنظام نجح . . أما الفوضى لأ . . لأن

الفوضى هي الظلم المستمر الشامل .

: فعلاً أي شيء أفضل من الفوضى . . والقمل الحالي بكل

مساوئه أفضل من الفوضى . . يا مسيو باكونين أنت . .

بتخرف .

: كلمة مندوب الصين .

: (يدخن من باب طويل ويقول في هدوء) :
الرجل الصيني

باركر

باكونين

باركر

باكونين

أحمد

شاحت

باركر

الرجل الصيني

- انصحبوا لي أقول لكم المشكلة في الحقيقة ما نهتمش كثير في الصين .. إحنا كنا ٧٠٠ مليون بقينا دلوقت ٣٠٠٠ مليون يعني عندنا احتياطي كبير أوى .. ما عندناش خوف م الانقراض .. جميع الكوارث اللي بتحكرو عنها ، والأوبئة والمجاعات مجرد زكام عابر بالنسبة لنا ، إحنا هزمننا كل المشاكل بالطاقة البشرية والإنتاج .. لو دخل الموت عندنا حايملنا حفراته من بحر .. سيداني صادق .. مفيش في الصين مشاكل ..

(يجلس في جلوسه ويعود إلى تدخين الهيب الطويل)

(يقف الدكتور ضاحكاً)

شاحنت : (في النشاط) أنا ما زلت بقول إن العلم هو الأمل ، العلم ممكن يحول التراب إلى فراخ ، ويطلع من الحجر طاقة تنور مدينة ، ويزرع الصحاري ويستتبت أغذية جديدة من قاع المحيطات .

باركر : إمى ..

شاحنت : ادوني إمكانيات وأنا أعمل لكم معجزة .

كلينوف : إدوله كل الإمكانيات اللي عايزها .

باركر : نديك كل الإمكانيات اللي عايزها .. نعتدك لك فوراً ألف مليون دولار من الكونجرس ..

كلينوف : ايدينا معاك شد حيلك .

الزيجي بوجودرجو : يا سادة مفيش أمل طول ما بتقسموا الناس في بلادكو لسود وبيض ، وطول ما فيه شوارع للسود وشوارع للبيض ،

ومدارس للسود ومدارس للبيض .

الإمبراطور بوكاسا : يا سادة مفيش أمل طول ما أنا معزول ، ومفيش حد بيسمع كلامي ، أنا بوكاسا إمبراطور العالم وسيد الكون المطاع .
(تقف الملكة الإفريقية ميريام طويلة مهيبه لخرالمة مثل بلقيس ملكة سبا .. تلقت إليها الأنظار)

باركر

ميريام

صاحبة الجلالة ميريام ملكة دولة موزامبيق الإفريقية :
: ده كلام قديم جداً .. كل واحد يقول نفس الكلام دايماً ..
ماحدثش عاوز يقابل الثاني في نص الطريق .. ماحدثش عاوز يقلع جلده .. كل واحد فيكم بيكلم نفسه من غير ما يحاول ، يسبح الثاني .. مفيش جنود مشتركة بيننا ..
المشكلة خطيرة .. إحنا في بلادنا لما يستفحل الداء بتسدي الحكماء ، وإحنا معانا النهاودة حكيم الحكماء في كل العصور .
(يسلط الأصواء على عبق القاعة لي نفس اللحظة لقي نجم فيها عيارها ويدخل جواما نوح في حالة القصور شامخ الطول عجوز مهيب .. جليل وفور تتدلى عليه البيضاء إلى دكتيه)

ميريام : جواما نوح شيخ الحكماء .. عمره ٢٠٠٠ سنة عاش جميع العصور ، وحضر كل أحداث التاريخ ، وعرف حكمة الأرض .. وشرب من بحار الأسرار .

(الأعناق تشرب إلى هذا الزائر الخرافي)

نوح : السلام عليكم يا أولادى .

باركر : والله يا سيدنا جواما نوح أنت جيت في وقتك إلحقنا ..

إنجدنا . . . جميع الشركات والمصانع الأمريكية تحت تصرفك . . . جميع خبراء صناعة المراكب والبواخر وهم أمرك . . . أرجوك . . . طلعنا من الأرض المحروقة دي ، خدنا معاك في مركبك .

: (في هدوء جليل) مركبك نفسك . . . إذا ركبت نفسك نجوت .
وإذا ركبتك نفسك هلكت .

: دي الغاز دي ؟
: في الأرض ما يكفي لحاجات كل الناس ، ولكن ليس فيها ما يكفي أظلمهم .

: دي معادلات ضعبة أوى .

أنتم ضيوف على هذا الكوكب . . . كل منكم زائر عابر . . . وحظكم في الدنيا عبور قصير ، أنتم مدعوون دعاكم الله لقضاء يوم في ملكته . . . هل يطلع الضيف في أكثر من ضيافة طيبة . . . هل يشغل عابر السبيل نفسه بتشكديس الممتلكات على كاهله . . . أو يعيش خفيفاً كالقراشة في حداث الله . . . حسب كل واحد أن يمتلك ثوبه وذابته وقضته وسوف تكفيها الأرض وزيادة .

لا تهملوا لواكب العظماء ، فالعظيم هو من حكم نفسه لا من حكم غيره . . .

لا تهملوا لمن يكسب أكثر ، لما قيمة هذا الذي يكسب ذهب الأرض ويحضر نفسه .

باركر

نوح

شاحت

نوح

أحمد

كليوف

شاحت

نوح

أحمد

باركر

أحمد

كليوف

باركر

: شوعية دي ياسيدنا والا إيه ؟

: لا . . . نظامنا بيع من أنفسنا محبة وتطوعاً ولا بأنى بالقهر والغصب من تجارنا . . . لسنا إخواناً بأمر الحاكم ، وسلطة البوليس ، وإنما نحن إخوة باختيار نفوسنا الطيبة . . .

: إحنا غايزين المركب ياسيدنا . . . ما نخرجش عن الموضوع .
: مركبك إني الله هي سجادة صلاتك . . . بقعة الأمان الوحيدة في هذه الأرض الخراب هي سجادة الصلاة .

: يوركيت ياسيدنا . . . كلمانك ذهب .

: الراجل عرفت ، صلاة إيه وبتاع إيه . . .

: ده عنده تصليب شرايين . . . ٢٠٠٠ سنة تحلى الملح خشب . . . معذور يا إخواننا .

: من يريد النجاة فليحمل سجادته ويتبعني .

: إيدي على إيدك ياسيدنا . . . أنا وراك لآخر الدنيا .

: إنت رايح فين يا ميسر أحمد . ده راجل مجنون حاسب الأوتيل لمن .

: أنا مستقيل م الأوتيل شوف لك متر غبرى يدير الحزابة بتاعتك . . . سلامو عليكم .

(يخرج نوح وأحمد يد كل منهما على كتف الآخر في تقاضى آخرى حين . . . وقد حمل أحمد سجادته على كتفه) .

: ده راجل هريان م الخانكة أراهنكو .

: فعلاً دي حالة معروفة في كتب السيكلوجي اسمها نوبيا دينية .

شاعيت : فعلاً أنا كنت أعرف واحد في منشق المجاذيب مركب دق
ويقول إنه سيدنا نوح .

باركر : هو بعينه وحياتك .

كليرف : هو من .

باركر : إلى يدور عليه في رواية نوح التي حانتها للسبا ، هو الوحيد
التي يتبع للدور .

(باركر يتجه بكل أدب للملكة ميريام) .

باركر : يا مدام ميريام . . آسف قصدي يا صاحبة الجلالة تسبحي

جلالتك . . يمكن جلالتك . . أنا محتاج للحكيم بتاعك . .

شهر واحد أستلقه منك . . شهر واحد وأرجعه لسموك سليم

مخط زي ما هو والله ، وفوقه مليون دولار بقشيش . يا مدام

مفيش حد غيره حايض في روايتي . . (مرك المجاذيب)

أرجوكني يا مدام . . أبوس إيدك .

(الملكة ميريام تهب وافقة في كبرياء غاضب) :

ميريام : الظاهر إن مفيش فائدة فيكم . . الظاهر إن العالم انتهى

فعلاً ، ومالوش حل . وماعادش لي مكان إلا مع حكيم

الحكام .

(تصرف غاضبة دون كلمة) .

كليرف : (يتعلم) وينغدين .

باركر : مافضلش إلا الحل بتاع كل يوم .

شاعيت : حل إيه .

باركر

كليرف

باركر

شاعيت

باركر

كليرف

: إن إحنا نشرب ونرقص ونأجل المصوم لبكرة .

: يرافو عليك . . كلام عملي . . عقلية واقعية مية في المبة .

: (ينادي بصوت عالٍ) هاي . فرانسوا . . . سباحتي . . .

فلورا . . . ميراندا ، يولاندا . . . قيتليني .

(تدخل الفرقة الراقصة في ملابس نصف غريبة في موجة من الموسيقى) .

: أنا حانسحب للمعمل بتاعي .

: أنا راجل جد مش بتاع الحاجات دي .

(يخرج شاعيت مسرعاً) .

(فلورا ترقص رقصة غليظة فيها تعبيرات حب وجنس وخمر ومرح . .

تصليق وتليل ، قبله بيها وبين الراقص فرانسوا في ذروة الرقصة ، ثم تراها

تمر على الجالسين فتقبلهم في مرح) .

(الجلس على ركبتى باركر يذلها وتلله) .

: بقعة الأمان الوحيدة في هذه الأرض الخراب هي شفتي فلورا

(بقلها) .

(تصليق تليل نهريج) .

(نهريج إلى كليرف تعانقه) .

: مرفأ السلام الوحيد في الدنيا هو حضن فلورا .

(تصليق ونهريج) .

الإمبراطور يوكاسا : (يشير إلى ساق فلورا) منعة الحياة الوحيدة هي اثنين كيلو لحمه

ضاني من هنا . . إمبراطورية يوكاسا مش ممكن تعيش من غير

حمام وغزلان للتلاجة الإمبراطورية .

(يمشق سيفه ليرقص رقصة هنجية حول النار وحول فلورا) - (يهتف)

أنا الإمبراطور بوكاسا صاحب الحق الإلهي في أن يأكل ويقتل
ويفعل ما يشاء . . (صرخ) هايل ماريام . . هايل منجستو
(تقدم له كأس دم فشربها) .

(تصليق ثوبه) .

(ساجدي النبلوان الإيطالي يرقص ولحقات بهلوانية يضع عدة سلاسل فوق
بعضها بسرعة ليصعد إلى القصر ثم يتدحرج واقفا) .

(ضحك . . مرح . . شرب) .

(مسرحة سيرك قصيرة عن العرش العالي ، أو الكرسي العالي الذي يستقر
عليه الأقرباء ، ويقلب الواحد منهم الآخر ويخس مكانه . . وكيف يصعد
كل واحد على كتف الآخرين حتى يصل إلى فوق ثم يدلع بهم فيتكبدون
في كومة من اللحم على الأرض) .

(الكل يتقارعون الكؤوس وقد نسوا أنفسهم تماما) .

يدخل المسرح عدد من الحيول المنزلية . . تجرى في دائرة . . ثم قبل بسوقه
كلب .

(أبطال السيرك يغنون) .

العب واكسب

العب واكسب

القرش بألف

والعالم أذ الكف

والكلب بسوق القيل

والعالم سيرك كبير

والشاطر يكسب

والشاطر يكسب

والشاطر يركب

والشاطر جالسي الكون

كليوف

(يقوم سكرانا) عندك وقف . . أنا حاركب .

باركر

(مضغما) لا أبدا ممنوع أنا ميدك . . أنا أول من يركب .

الرجل الصبي

(مضطجعا) ولا أنت ولا هو . . اليوم يومى والدور دورى وأنا

حاركب . . بالثوب أنا حاركب بالقوة أنا حاركب .

(يشاك الثلاثة ويتأسكون بالأيدى . .)

باركر

ابعد عن أحسن لك . . ده أنا عندي قبيلة ذرية تحلى بلذكو

كناقة . .

كليوف

(يضحك باخرا) وأنا عندي صاروخ حائلي بلذكو قراقة

(مفسر - الرجل الشيطان الانتهازي في حيث يكلم نفسه وقد انتهى جانا)

- أيوه جدد . . إديله كمان . . خرب . . دمر . . ولع . .

شعل خلى العالم يركان

عُص ياواد في انجوائك عُص

اتخافقوا . . اتخافقوا . . واقتلوا بعض

وأنا في الآخر . .

حاورث وحدي كل الأرض

وأكل الأكلة بكل لطافة

وأنا ميد بين يركب

على ظهر الموجة العوجة

ويعوم في المية السائلة

ها أو أو . . أو . . أو . . أو

الرجل الأخرى : وأنا فتن بين الأشكال .

الإطال ساجي : أنت الغدوة والعشوة يا بور يالة

(المصوغة تقي)

العب واكسب

العب واكسب

القرش بألف

والعالم أذ الكف

والكلب يسوق الفيل

والعالم منيرك كبير

والشاطر يكسب

والشاطر يكسب

والشاطر يركب

والشاطر حاميثنى الكون

(مجموعة تشرب على مائدة) .

(رجل متشئ وأخر مهزوم وحرفيا آخرون) .

يا خمرة يا ملهمة يا عصير النفوس .

يا خمرة يا مجرمة يا طاحونة فلوس .

بنوزي الخع زى القانوس .

ويتاكل في الجنة زى السوس .

النشوان

المهزوم

النشوان

المهزوم

النشوان

المهزوم

أخرون

أخرون

المهزوم

أخرون

: يا خمرة . . يا دم جو الكؤوس .

: منى الى باعك . . يا ساعة ناقصة الثروس بثوقت العنق قبل
الأوان .

: يا ساق . . هات الشهد . . هات الشراب .

: هات السيرو . . ولع الأعصاب .

: هات العذاب . . أنا جاي أبغ الذهب بعر التراب . .
وأبغ سنين الشباب من غير ثمل .

: (بصفقون) يا ساق . . هات . . هات .

(فجأة تسمع صوت شاعرة فادما وهو يصيح أوربكا . . أوربكا .
وجدتها كما قال أرشميلس) .
(يدخل وقد طلع الفرح على وجهه) .

وجدتها . . وجدتها . . وجدتها . . وجدتها .

: إيه . . إيه . . وجدتها إيه .

: (في حماس) الحل . . إنقاذ العالم ، المعادلة الجديدة للطاقة

٢ ك ب + ط = ١٣ ع م ش ص ض ز ح ح

: إيه ده .

: المعادلة الجديدة التي حانطع بها الطاقة من التراب . . ونحول

مية المجارى لقراخ خلاص مش عاوزين يتبول . . عندنا

دلوقة طاقة جديدة ممكن تحول التراب لذهب . . تحول مية

البحر لشعلة نار تعمل من الخلفات المرمية بروتينات غذائية . .

انتهت المشاكل . . العلم الألماني صنع المعجزة . .

باركر

شاعرة

كلهوف

شاعرة

بارك

: إيه ده . . إنت بتكلم جد .

- تعالوا معايا للمعمل شوفوا بعينكم .

(يهول الكل خلفه) .

(نظم القاعة تدريجيا) .

(نضىء غرفة الدكتور شاخت . . ترى كل الموجودين متراحمين ليأخذوا

التجربة المثيرة .

الدكتور شاخت يوصل عدة أسلاك كهربائية ويضبط عدادات وأجهزة ثم

يضع يده على مفتاح التحريك) .

: ده جهاز إلكترونى أنا وضعت فيه حفنة تراب . . ودلوقت

حاجباً الغد التنازلى وحاشوفوا التراب يتحول لطاقة والحديد

يبنى ذهب بمجرد ما أوصل التحويلة .

(لحظة المفتر يضغط الدكتور شاخت على مفتاح التحريك)

(يحدث انفجار مزعج) .

(تتدلع فجأة عدة شرارات فى المعمل ثم يبدأ فى الاحتراق عاماً . . الدخان

يغطى على كل شىء . . نسمع صرعات . . ثم صمت كامل) .

(حيناً يبدأ الدخان فى الانقشاع . . ترى نوح وأحمد والمكة مريم وأخضر

وسط جثث القتل والانقراض)

: انتهى النصف الباقى من سكان الأرض . . انتهت دنيا الباطل

(الألمان فى صوت واحد) :

لا إله إلا الله .

(إطفاء تام كامل ثم عودة إلى السماوات الزرقاء والملائكة الراوية يغلظ الكتاب

مسيحاً ومن حوله الملائكة يسبحون . . مع موسيقى عظيمة غامرة فى الفضاء) .

لا إله إلا الله . . لا إله إلا الله .

(كورس وأصوات متداخلة وموسيقى هارمونية) .

لا إله إلا الله . . لا إله إلا الله . . لا إله إلا الله . .

(ختام)

شاخت

نوح

سُكْرٌ وَلَمُونَ

عبي الوحيد يا سادة يا كرام هو غرامي بالتسجيل ووضع
أجهزة التصنع والسمع . وأشهد أمام الله أن هدي يرى ،
ولا علاقة له بإضرار الناس ، أو إبلاغ السلطات ، وإنما أقول
هذا لأغراض غير بوليسية . ولأهداف بريئة تماماً هي جمع مادة
علمية ، والقيام بإحصاءات دقيقة ، ودرايات عميقة . في
مسألة السعادة الزوجية والحب والعلاقات الإنسانية ، واستنباط
قوانين التطور والتقدم ، ورصد حركة المجتمع في سيرة من أيام
العرة الكارو إلى عصر الذرة والمضاروخ .
وفيما يلي تسجيل واقعي أمين لمجموعة لحظات تروي قصة
الحب والزواج بين اثنين على مدى عشرين سنة من العصر السعيد
المديد

وأترك الكلام لجهاز التسجيل .

المشهد الأول

(دعك منقول في كازينو شارع الحرم تحت أعمدة حديد
من الميكروفون المعلق في أخصان الشجر تهل في عذوبة موسيقى لموه الشعر
لشويان
على المائدة يميل شيخان لشباب وفناء في ضيرة العمر الخدان متلاصقان الأنامل
متشابهة . والأقدام متعاطفة . الكلام خمس
لحن في يده كروب من اللحن)

مي : ما شربتش ليه . . . أحط لك سكر .
هو : إني سكر . . . دوى لي حته من شفايفك يا سكر .
مي : نفسي أدوب لك عسري كله .
هو : وأشريك .
مي : شطوة شفقة .
هو : تمشي في عروق في دمي في جسي في روجي .
مي : نبي واحد .
هو : ما تعرفش مين هو مين .
مي : زى السكر واللحن في الكتابة ما حدش بقدر يفرقهم .
هو : ولا النار بقدر يفرقهم .
مي : أنا مش مصدقة .
هو : إيه .

واخشى وانت قصاص غني

هو : لما حانتجوز حانتقل علينا الأوده . . . طول الليل والنهار .
مي : طول السنة .
هو : وناكل الزاي .
مي : ناكل بعض .
هو : أكلك من شفايفك . . . كده .
مي : ياي .
هو : (قبة طويلة . . . ثم حالة إغماء على موسيقى شويان)

المشهد الثاني

(في بيت الزوجية بعد ثلاث سنوات من المشهد الأول في بلكونة تطل على
النيل .
الزوجة ترفع طفلاً . . . الرجل يقرأ في جريدة .
على المائدة سكر ولبنون وماء مطح)
هو : هاني كاتمة من الحضية . المية باردة أوى . . . بتعمل لي الثياب في
الزور أنا غندي لوز .
مي : أنا قمت وقعدت عشرين مرة . . . مرة لوز مرة سكر . مرة كباية .
مرة دورق مرة تلج . مرة بلاش تلج . مرة المية ساقعة . مرة المية
سخنة . . . مرة تزلت اللوز . . . مرة طلعت اللوز . . . أنا اللي طلعت
روحي . . . إنت فاكرني إيه . . . مركبة زيملك . . . مش شايف
النهاية اللي في إيدي . . . إنت ما عتاكش دم . . . إنت

ما عندك كش احببنا . ما عندك كش ذوق .

هو (يبدو انه متعود على مثل تلك الزواج) يا سنى دى حكاية كانت ممكن

تجهز كلها مرة واحدة . . فيه لمون من غير سكر وتلج وربة ودورق

وكبابات ١٩ ليه الحاجة تبقى ناقصة وأنا الى انشتم كل مرة .

هى وانت مش بنى آدم زى . لك ايدين ورجلين ما تهر لحسك شوية

وتخدم نفسك .

هو أنا لسه جاي من الشغل مش قادر أشرك .

هى (تضع الطفلة في حجره) طب خذ رضع الزفة دى على بال ما أخدم

سيادتك يا بك يا كبير .

هو (في صوت خافت) أعوذ بالله (يكلم نفسه) ده أنا اتجوزت شيخ عفر .

(تطلق هى لتعود كالصاروخ في يدها دورق ماء من الحنية تضعه أمامه في

عنف وتحطف الطفلة)

هى خذ اشرب . . اطفح . . انشم . . بالنا والشفاء .

هو مشكور يا سنى . . الله يسامحك .

هى يسامح من . . يسامحنى والملا يسامحك . . من قينا الى جوى على

الثاني .

هو يسامحنى أنا . . أنا المحرم الجاني الظالم المقترى السفاح الى جنيت

على شبائك ، وضيعت عمرك ، وميلت بختك ، ودبلت سجالك

أنا (يهرب نفسه بالكف على صدره) أنا الى استاهل ده كله .

هى أبوه كده اعرف نفسك كويس .

المشهد الثالث

(في نفس البكرة بعد عشر سنوات)

الزوجة الآن سنية مثل التوز الامتزاز . . الطافات البيع تحرق في لها سجارة

بعد سجارة . كأنها مدخنة ورائحة لها لا تطاق من السجائر . حوفا أربعة

أولاد .

على المائدة نفس أدوات الليونادة .

الزوج يضع على عينيه نظارة سمكة ويطلع كتاباً

الزوج على عكس زوجته قد أصبح نحيلاً مضموماً هضماً شاحباً .

(في طرف) اللمون معطب والسكر فيه نحل .

طبعاً لو كانت الحانم الجميلة القاذرة مدام سهر معانا دلوقت وهى

الى بتعمل لك الليونادة . . كانت بقت من ايديها شهيد . . عمل

نحل .

من مدام سهر .

عشيقتك . . رفيقتك . . يا خاين . . يا غادر . . فضحتني في

العارة . . جرميني في الحنة كلها . . الناس كلها بتكلم . .

وباريت الحكاية توقفت عند سهر . . وساء . . وسلوى .

إلا بقيت بتاع كله . . مفيش واحدة جريوة إلا تبص لها . .

مفيش عيادة إلا تخلق لها . . مفيش كلية إلا تشاور لها .

(به الكلام الفارغ ده يا وليه ، أبص لمن وأبطل لمن . . دنا

لايس نصارة قمر كباية . . دنا مش شابف أمشي . . دنا

اتعميت . . دنا بخمس .

هي : وماله . . . خمس بركة . . . على سبيل التجديد . . . فراغة العين
ماطاش حدود عند الجاني الى ربك .

هو : أنا الى محزون يا وليه يا مورستان . . . يا وليه يا حاتكة . . . يا وليه
وطى حبك . . . صوتنا يوصل لآخر الشارع . . . الناس تقول فيه
حرام في الشقة . . . أو حريق . . . أو مصيبة .

هي : أنت الى عليها حريقه ومصيبة . . . أنت الى على عيشي جهنم . .
لكن يكون في علمك . . . أنا له بحالي وشبالي . . . أنا بمشي في
الشارع يتقف لي العربيات .

هو : نعم يا ختي ! . . يتقف لك إيه ! .

هي : يتقف لي العربيات

هو : (ماغرا) قصدك عربيات الرش . . . وعربيات البطيخ . . . وعربيات
الفل (بضحك) وعربيات السبارس .

هي : إبحرس قطع لسانك . . . عربيات السبارس دي عشانك وعشان
أهلك .

هو : أهل كيان

هي : إحنا بمشي ورانا عربيات شيك . . . العربية عشر متر .

هو : أنهم وأكرم ناس بيوات صحيح .

هي : لكن إحنا ما براضاش . . . أصلنا ناس مزيبين .

هو : ونعم البرية ما هو باين

هي : كنت ممكن أجي مليون جنيه في اليوم

هو : (ضاحكاً) ليه . . . أنت فتاة السويس .

والله لو افتتحت قناة السويس ومشيت فيها يواخر أمريكا ما تجيب
مليون جنيه في اليوم .

هي : حضرتك بتفريق .

هو : لا . . . أبدأ أستغفر الله . . . أنا أفكر أمس الشرف الرفيع الى
بيجيب مليون جنيه . . . ده حضرتك نورديني (يطحنون ضحك
هستري) .

هي : (ضاحكة) يعني إيه . . . يعني مش عاجياك . . . يعني مش مالية
عيتك (متشجعة وباتكة ولاطمة وجهها) . . . يا بختي المايل الى وقعي
في الراجل الدون . . . الراجل الندامة . . . الراجل الى
مايسواش . . . الراجل الخسيس .

هو : يا وليه بلاش خفاق . . . أنا جالي فتي من الزعيق .

هي : فتي . . . يا مصيبي . . . يا خيتي . . . يا لوتي . . . كيان فتي .

فضل فلك إيه !

المشهد الرابع

(بعد عشرين سنة)

في نفس البلدة . . . خمسة أولاد . . . الزوجة الثور . . . والرجل المعصر من هذه
المره بركاً على عصا . . . أمهم المائلة عليها أدوات الليمونة .

هي : (تقوم وتقعدي عصية) تطلع تزل عاوزة ميت جنيه حلال .

هو : عشرين يا وليه . . . إني مش واخدة فيه وخمسين جنيه إمبراح . .

أنا صادق فلوس .

هي : وإليه مية وخمسين جنيه . . دول مية وخمسين مليم في الغلا إلى
إحنا عايشين فيه . . مية وخمسين مليم . . هاجيوا أكل والا
هاجيوا شرب .

هو : والله الموجود . . معنديش غير كده .

هي : طبعاً دابر توزع فلوس على أهلك الشحاتين . . دابر تفرق على
الخدّامين الملافيت بين وشال . . فاتح بيتي لأهلك الصابيين . .

والله أنا مش متجوزك إنت وأهلك . . ولما إنت أهلك بتوع

فجلى وجرجير كنت بتجوز ليـه البيوات اللي زينا . . إنت لازم

تعرف إن أنا بنت بك وأنى مش وش العيشة الزفت دى .

هو : (في هدوء) والله بلاش العيشة الزفت دى وروحي ليلك أبوكى . .

أنا مش عاوزك .

هي : (تصرخ) إنت بتكرهنى . . إنت بتطرّدنى . . بعد عشرين سنة

خدمة بتطرّدنى .

هو : والله بق إحنا ناس بتوع فجلى وجرجير ، وحضرتك من

البيوات . . حرام تغصبى نفسك على العيشة البدون دى . . أنا

كأن ما تخلفسيش . . الفضلى من غير مطرود على قصر عابدين

بناع أبوكى .

هي : وكان بتجراً وتقولاً . . إنت فاكرا إن أنا قاعدة عشان تخاطرك .

إنت فاكرا إن أنا غاوية وشك النكد . . ده لولا الولاد كنت

سبت لك البيت على الصرمة القديمة .

هو : أدى . . إحنا فيها .

هي : (تصرخ في غيظ) وكان بتقولاً ثانى يا بادل يا سافل . . يا قليل

الأصل (تخطف دوق الليمون وتشد على رأسه فيخطف العصا ويضربها على

رأسها ينشئ المشهد على صراخ الأولاد وتجمع الجيران ودم وشاش . . وقطن . .

وأربطة . . وصبة يود . . وبادهرق الحقون . . (الراجل حايقلنى) .

□ □ □

(بعد أسرع)

مذيع برنامج على الناصية يعترض الزوج في الطريق .

الذبح : تعرف بحضرتك .

الذكور عبد الجليل . . إيه خير .

برنامج على الناصية يباخذ آراء مختلفة في استفتاء كبير عامليه عن

السعادة الزوجية . . حضرتك متزوج .

جداً .

مخلف .

بشلة .

محب .

موت . . (يتحسس الأربطة الشاش وحزام الفتق) .

الست زوجتك لما نشاط اجتماعي .

ونشاط سياسي كان وحياتك ، ومشاركة في جمعية نسائية ، ولما

دور تربوى ، وحط خطين تحت الدور التربوى ده .

عظيم . . عظيم . . يعنى امرأة عصرية من كل الرجوة .

- آخر موديل . . بيت النازدة .

- إيه رأيك فيها كنت بيت .

- مديرة مالية لأخر ملهم في جيب وفي جيب الجيران كان .

- محدثة .

- ماخديش يقدر ينافسها لأن صورتها أعلى من الكل .

- مظلعة .

- وفيلسوفة وفلكية وجغرافية وجيولوجية وشكل في كل موضوع

بدون سابق اطلاع .

- عجيبة .

- جداً .

- ذاكرتها قوية .

- تحفظ أكثر من مائة رقم تليفون عن ظهر قلب .

- نموذج هابل .

- ربنا يوعذك بواحدة زينا .

- تفكر إيه نتيجة ظهور هذا النوع الجديد من المرأة العصرية في

بلدنا ؟

- جاتكز القهاوى وغرز الخشيش والبارات .

:(لا يدور عليه أنه يلهم) :يه .

- عشان الرجالة اللاجئ المهاجرين اللي زنى واللى زيك اللي

حافظتوا من جنة السعادة الزوجية .

(المليع يدور عليه البلاءة ويعلق الميكروفون) .

المليع

إلى هنا بإسادة يا كرام تنهى التسجيلات الخاصة بالذكر

عبد الجليل ومدام عبد الجليل . . وهى واحدة من مئات

التسجيلات التى أخذتها من مئات البيوت . . والأشفت أغلبها

بشير إلى حالة تدهور عام في العلاقات الزوجية

واسمحوا لي قلنا من أب فقير وأم فقيرة ، ومن عائلة من

بسطاء الناس ، حفظنا من التعليم متوسط . ومع ذلك لم أسمع في

بيتنا الخلف مثل هذا الحوار الساقط الذى يتلأ شرائط التسجيل

في بيوتنا العصرية .

والظاهر أنى إنسان غنى جداً لا أفهم .

لا أفهم لماذا يسمون هذا الذى جرى للمرأة . . مقدمة . قد

أكون سبى الخط في انتقاء المخاذج فلا تقع يدى إلا على الحالات

الشاذة أو المرضية .

ولكن يبدو على قدر فهمي . . أننا نقدم فقط في الأدوات

والمأكبات وفي الكهرباء والمطبخية . . ولكننا كأدبيين نسير إلى

الحلف . . لا عجة لا إنسانية . . وإنما ناس يأكل بعضهم بعضاً

بالشوكة والسكين (وهذا كل أمر ملية) .

ومرة أخرى أرجو أن أكون محظوظاً .

وأرجو أن يصححني القراء ويبعثوا إلى تسجيلات من بيوت

عصرية فلية تبعث على التأمل وتساعدني في البحث الذى

أكتبه عن حركة التاريخ من عصر الكارو إلى عصر التصاروخ .

الفرع والحظيرة

ذات صباح في طيبة القرعونية .

الجميلة «لى» تكحل عيناها بمكحلة من العقيق ،
تحت راقصة كأنها فراشة .

تفنى وهي تنظر إلى الشاب الجميل «بناح» الذي ألقي بشارته ليصطاد عند
«الشاهي»

يا حبيبى . . كم هو جميل أن أذهب إلى البحيرة لأغسل
أمامك .

وأجعلك ترى جنالى ، وقد التصق ثوبى الميتل بجسدى فأظهر
تفاصيله .

تعال وانظر . . وحذار أن تلقى على شباكك فأنا سمكة صغيرة
نقلت من جميع الشياك .

(بناح يلتفت نحوها باسماً ويعنى) .

إلهى حبيبى . .

ليتنى كنت جاريك التى تقوم على خلعك ، لأرى لون جسدك
كله .

ليتنى كنت الحاتم الذى فى أضياعك ، والسوار الذى فى ذراعتك ،
والعقد الذى على صدرك .

ما أسعد الذي يلثم لك ويستشق النسيم العذب الخارج من
شفئك .

طويلة العنق جميلة الشدى .

ساحرة العينين حينما تنظرين .

ذراعك يفوق الذهب في طلاوته .

أما أصابعك فبراعم اللونس .

سليت روحى مع قلبك .

(جلس الحيان في حوض حميرة عتيقة) .

تخذنا نتزوج يا حبيبتى .

- أنسى أن الغد هو عيد الحصاد ، وسأرفض في قصر الملك .

- وسوف أغنى أنا أيضًا مع المشدين .

- إذن نؤجل يومنا السعيد عدة سويغات أخرى .

- ستكون سويغات أطول من الستين والذهور .

- كلما طال الوقت طاب الممر .

- واشتاق الأبدى للفظاف .

(يمسك يدها في حنان ويكتب الألمان اسميهما على الحميرة) .

- سيعيش اسمانا هنا ألف عام . . ويخلد حبنا .

(يقبل يدها) .

(انطلقت منه بسرعة عائدة إلى بيتها) .

(في المساء وهي تعبض عينيها لتنام تغتم منومة كأنها تهدده طيرًا في حجرها) .

في الليل على فراشي ظلمت من نجه نفسي .

طلبته فما وجدته .

أعشوني بشراب الوردة فإني مريضة .

أحلم بمن أحبه بين ذراعى .

أحلفكن يا بنات طيبة بفراشات الحقل ألا توفظنني من حليمي .

(مساء الغد بعد الحفل وقد عاد بنوح حزينًا يمشى بالكفاف عنية ويظهر تعذب) .

(يدخل على أبيه الحكيم «يوزاء» ويظهر على صدره باكيا) .

- أنى . . سوف يأخذ الملك حبيبتى منى . . لقد خطبها وقبلت

خطبته . . رآها ترفض أمامه فخطبت له . . أنسمعى . .

«أنى» قلت أن تكون زوجة للملك . . ولم تتردد ولم ترفض

- لا توجد امرأة ترفض أن تكون زوجة للملك يا ولدى .

- ولكنه ملك عجوز بلا أسنان ، جلده مغطى مثل ثبة عفتة وله

سبعون زوجة وجارية وخليلة .

- المرأة يطربها كثيرا أن تكون المفضلة على سبعين .

- وأنا . . ما مصرى .

- تغنى يا ولدى كما تعودت أن تغنى .

- حتى أموت .

- بل سيجوز صوتك وتغنى نبراتك وسينكى جيدا ، وتجعل الناس

يكونون جيدها بلا تكلف أو اهتمام .

- سوف أموت من الحرمان .

- لا أحد يموت من الحرمان ، وإنما الناس يموت من الشبع .

الحب يولد في الخيال ويموت في الفراش . . يقتله الارتواء .

بنوح

الارتواء هو الذي يميت يا ولدي أما العطش فيحيي .

- وماذا ستفعل «تي» من بعدى .

- سوف تصبح ملكة . . وهذا أمر يسعد المرأة أكثر من أن تكون

زوجة لصياد يلتقي المواويل .

- وسنحكى كثيراً .

- نعم سنحكى كثيراً . . ولكن هموم الملك سوف تشغلها بعد ذلك

عن البكاء .

(يتاح بلفظ وجهه في صدر أبيه) .

- ساموت . . ساموت يا أبي .

- ما أحلى صوتك وأنت تتوج من قلبك يا ولدي . . سوف تفرح

الناس ، سوف ينفثون اسمك على أعمدة المعابد ، ويتغنون بك

سوف تكون خالداً مثل رخ وجورس وأمون .

- ساموت . . ساموت .

- بل متخلد . . متخلد .

• • •

(في القصر الملكي .

الملك المعجوز سفرو كارع على سرير الملك يصرخ في حاشيته) :

- أين أطباءى . . أين كهنتى . . ملعونون جميعاً . . لم أقم البارحة

من الألم . . لم يفلح الطبيب سمحور في علاج النقرس . .

اشتقوه على باب القصر . . استدعوا لي طبيباً آخر (يتسم في أهل)

غداً أدخل على عروسي الجميلة «تي» وتدفنى بجسمها ، وتدلكني

بصدرها ، وتداويني من آلامي ، وتعيد إلى حرارة الصبا . . أين

الكاهن «خنسو» وأعشابه التي تعيد الشباب ؟

أين الطبيب حور شب ومستشاروه ؟ أين حم أبون وعفاقيه

السحريه ؟ أين الحكيم «يوياء» الذي لا تقيب نصائحه ؟

(يدخل الطبيب حور شب) .

- ماذا عندك اليوم لي . . ما هي فتاوتك أيها الطبيب الخاذق .

- استحضرت لك مرهماً من أعشاب نادرة ، وشراباً قابضاً سوف

يردآن لك عافيتك .

(يدخل طبيب آخر يسمونه «راعي» شرح الملك ، متخصص في علاج

البواسير . . يجبل على الملك ويعطيه ليوماً . في حين يتداول عدد من

المستشارين الطبيين والكهنة والحكيم «يوياء» في كيفية بث الحياة في هذه الحلة

الملكية) .

(تسمع الملك يصرخ من بينهم) .

- أين رئيس الحرس . . لا أريد تمثالاً لأحد غربي في طول البلاد

وعرضها . . لا ينقش على الأعمدة إلا اسمي ولا تقام التماثيل

إلا لي . . لاملك في هذه الأرض سواي . . أما سفرو كارع

ملك الوجهين القبلي والبحري ، وابن الإله رع . . مقدس إلى

أبد الأبد .

- لقد أولنا عدداً كبيراً من تلك التماثيل يا مولاي .

- جعلوها كلها .

- سمعاً وطاعة يا مولاي .

(يطرق أصابعه العجفاء ويعود إلى الانعام) .

- غداً أدخل على عروسي الجميلة « في » وتدفني بجسمها ، وتدلكني
بصدرها ، وتداوليني من آلامى . . ما أمتع الحياة . . وما أروع
أن يخلد الإنسان ويهزم الموت .

(الحكيم « يوبان » وقد اتحنى بجانب جيمس بصوت خافت إلى الطبيب) .
ذلك العجوز العفن الذى يتقع نفسه فى الماء والملح كل يوم مثل
الرجمة ليطول عمره .

حقاً ما أعظم حكمتك يا إلهى . . كما تعالج الحديد بالنار تعالج
أنت المتكبرين بالهوان . . هذا الملك قد جعلت منه شحاذاً يشحذ
الحياة ساعة بساعة ، ويشرب الصاب والعلقم ، ويضع
الحنظل ، ويدلك نفسه بالمراهم الكريمة ، ويضع فى شرجه
لوساً ليسول لحظة إضافية من حياة تعب لا تساوى تكاليفها . .
ثم بعد ذلك تلقنه الدرس الأخير . . الموت . . المؤدب الذى يعلم
كل الذين لا يتعلمون .

(الملك ما زال يطرق أصابعه العجفاء ويهيس فى تلهذ) :

- غداً أدخل على عروسي الجميلة « في » وتدفني بجسمها البض ،
وتدلكني بشديها المستدير الشهي مثل رمانة من بابل .

(بعد ثلاثة آلاف سنة . . فى نفس المكان .)

عالم آثار ومعه عدد من الحفارين ينشرون الأرض بمعاولهم .
العالم الأثرى يشار على قطعة الأرض أمامه .

- هنا تنام ثلاثة عصور فوق بعضها . . عصر فرعونى ، ومن فوقه

عصر روماني ، ومن فوقه عصر فاطمي . . هنا كنز أثرى كل شهر
تراب فيه يساوى ثقله ذهباً .

إذا استطعت أن أمسح هذا المكان مسحاً تاريخياً أثرياً كما أشتهى
فسوف أكتب بحثاً خالداً .

(أحد العمال يعثر التراب على مكحلة . . فيزول بها إلى عالم الآثار . . يتناولها
العالم بيد فضيلة . . ويقلبها أمام بصره . . ويخصصها بملسة مكبرة) .

- مكحلة من العتيق من العصر الفرعونى . . على أى عمق وجدتم
هذه المكحلة ؟

- على عمق ستم قدماء .

- معنى ذلك أننا قريبون من مقابر سفرو كارع الذى يشك فى
وجوده التاريخيون . . احفروا . . احفروا بهمة وبلا توقف . .
سوف تكشف اليوم كنزاً عظيماً . . ونضيف إلى كتب التاريخ
صفحة خطيرة مفقودة .

(ما زال يقلب المكحلة ويهيس) :

- ترى أى عين اكتشفت هذه المكحلة . . وأى نظرة جانبية كانت
فى تلك العين وهى تكتحل . . وأى دموع سكبها . . وعلى من
سكبها .

(بعد ثلاثين يوماً من الحفر .)

ما زال العمال يحفرون . . ولا يخرج إلا التراب .

وعالم الآثار يروح ويحيى فى بأس ويهيم فى انفعال) :

- أين سفرو كارع ؟

الوقت ليل ..

في الخلفية نرى صحراء مقابر العلمين .. مئات من الصليبان
الحشية تبدو متراصة على الرمال كثافات قصيرة جرياء .. يبدو
الطريق الأسفلت الذي يؤدي إلى عرسي مطروح ،
في جانب نرى كشكا خشبيا يقف فيه عسكري إنجليزي .
في الجانب الآخر قطاع من استراحة العلمين فيه غرفة
واسعة ، ومرير ومائدة ودولاب وكرسيين وساعة مستديرة على
الحائط .

الرياح تعوى في الخارج .

صوت وشوشة البحر .. وأمواج عالية ..

رعد وبرق ومطر ينزل ثم يقطع ثم يعود إلى النزول من
جديد ..

نرى الحارس الإنجليزي يخرج زجاجة نبيذ من جيبه ويخرج
منها في شراقة ثم يشد وينقش :

دولالا .. دولالا .. لا لا ..

(يبدو أنه وحيد في هذا المكان الموحش .. وأنه ملول .. وأنه يحاول أن يفرق

وحده في الشراب وفي الغناء بصوت جهور . . . مجرد دثنة بلا معنى . . .

- دو . . . لا لا . . . لا لا . . . لا لا . . .

(ينالك على الكرسي متجذلاً إلى نفسه) :

- أوه . . . هذا الجو البارد . . . وهذه الريح التي تصفع الوجه . . .

يا هذا المطر اللعين الذي لا يريد أن ينقطع . . . أشعر كأنى كنت

واقفاً هنا من ألف عام . . .

يعود إلى الغناء . . .

- دو . . . لا لا . . . لا لا . . . لا لا . . .

(يتوقف مصغياً إلى صدى صوته ويعتبر وهو يتأمل المكان حوله) :

- لا فرق بين لحظة وأخرى في هذا المكان الموحش . . . لكان الوقت

لا يمر . . . لكانها الأبدية التي نعيش فيها بعد الموت والبعث . . .

يا له من مكان . . .

(نراه يدخل الكشك ويخرج حاملاً منفضة ويتجه إلى الجانب الآخر الذي فيه

الاستراحة . . . يدخل الغرفة . . . يبدأ في تنظيف الأثاث وترتيبه . . . يسمع طرقاً

على الباب . . . يستدير في دهشة) :

- من هناك ؟

(يسمع الطرقات واضحة) :

(ينعجب إلى الباب يتنهد . . . لا يجد أحداً) :

(يخرج إلى الحلاء ويطلق حوله وهو يصيح) :

- هيه . . . هو . . .

(لا أحد يرد . . . ولا أحد يرى من قرب أو من بعد . . .

تسمع من جديد الطرقات على عتبة أبواب) . . .

(تطلق في دهشة وطمع) :

- هيه . . . هو . . . من هناك . . . من الذي يطرق الأبواب . . .

(لا أحد يرد . . .)

(يمس إلى نفسه) :

- أمي العفارييت (تسمع الطرقات بعيدة خافتة . . . يرسم علامة الصليب على

صدره) . . . يا إلهي . . . ليحفظنا المسيح . . .

(يسمع صوت عربة على الطريق الأسفلت . . .

يرفع صوتها رويداً رويداً . . .

وتظهر مقعها ومصابيحها عند أول الطريق . . .

نرى الحارس ينحني للمقاة

تقرب العربة وتتوقف عند الكشك . . .

العربة من نوع القورذ القديم الذي كان يركبه قبلاء زمان

يفتح باب العربة . . .

ويترك رجل مهيب في حلة سوداء . . . وفي يده صندوق يشبه صندوق الخياط .

من الرجل حول الأربعين . . . ولكنه مثقوب بأذى الصحة . . . يبدو عليه مظهر

السادة الذين تعودوا أن يلقوا بالأوامر . . . وجهه مهيب صارم الملامح وجهته

عالية وعيناه نالفتان مشعنان . . . تسعده بشأن الحارس) :

- هنا استراحة العظمين .

- نعم يا سيدي .

- هل أستطيع أن أجد غرفة خالصة لمبيت النساء .

- مؤكداً يا سيدي .

- حسناً .

(يمد الحارس يده ليخفل عنه الصندوق) .

- دعني أحمله عنك .

- لا .. لا شكراً ..

(يقطعه الخاريس إلى الاستراحة)

- تفضل من هنا ..

(يقوده إلى الغرفة الواقعة بالاستراحة)

(الخاريس خارجاً) :

- لحظة واحدة .. سأتى لك بأغطية ثقيلة .. إن الليلة باردة ..

(يرى الخاريس يخرج إلى الحلاء .. ذاعياً نحو الكشك .. نراه يقف في الطريق ويحصر ذنقه متاللاً) :

- أين رأيت ذلك الوجه من قبل .. إني رأيته .. أنا واثق أتي

رأيت .. ربما في صورة .. ربما في صحيفة .. وربما رأى

العين ..

يا له من رجل شامخ الجبهة مثل نابليون ..

لكأنه قائد فرقة من الكوماندوز ..

لكأنه بشارك .. أو غليوم .. أو .. أنا واثق أتي رأيته ..

أين .. ومنى .. وكيف ..

(يحصر رأسه ثم يهزها بالنكأ .. يدخل الكشك ثم يخرج ومعه بطانية من

الصوف .. يلحظ بها نحو الغرفة .. نراه ما يزال يهز رأسه محاولاً أن يتذكر) :

(يدخل الغرفة ومعه البطانية) :

(يضعها على السرير) :

(ينظر إلى الزائر الذي أعرج غليونه وبدأ يذعن) :

- هل أستطيع أن أتشرف بمعرفة السيد ..

- مجرد مسافر على الطريق أمره لا يهم أحداً ..

(وهو يسيء له الغرفة) :

- أنت متواضع جداً يا سيدي ..

(الزائر يثبث الدخان بعدم اهتمام .. ولا يرد) :

- وهل يبقى سيدي عندنا طويلاً ..

- ربما ليلة وربما يقصع ليال إذا أعجبتني الجو وواتاني الإلهام ..

(الخاريس في دهشة) :

الإلهام .. تقول الإلهام ..

- نعم .. فأنا أنحول من سنوات ياحناً عن بيئة تلهمني لأكمل

ملحمتي الشعرية ..

(الخاريس في دهشة أكبر) :

- ملحمتك الشعرية ..

- نعم .. فأنا أكتب ملحمة شعرية .. عن الحرب ..

- أوه .. أنت إذن شاعر .. يالها من سعادة أن ألتقي الليلة بشاعر

عظيم ..

- وكيف عرفت أنني شاعر عظيم ؟

- لا بد أن تكون شاعراً عظيماً .. لا بد أن تكون رجلاً عظيماً

هكذا قال لي إحسانى منذ أن رأيتك ..

- هذا عجيب ..

(الخاريس يثبث متزهداً) :

(الزائر مشاوراً له ليحظي) :

- اجلس . . إن الليل طويل . . والحر يحل في مثل تلك الليالي .
لا بد أنك تعرف الكثير عن المكان . . يبدو أنك اشتريت في تلك
الحرب ؟

- نعم كنت جندياً في الفرقة الخامسة .

- عظيم .

- لا شك أنك تعجب لأنني اختبرت الإقامة في هذا المكان الموحش
في الوقت الذي كان باستطاعتي فيه أن ألحق زملائي في إنجلترا .
هذا فعلاً اختيار غريب .

- أما بالنسبة لي فإنه ليس غريباً على الإطلاق . . فليس لي أهل
هناك في إنجلترا ، وإنما كل أهلي وأحبائي هنا . . في هذه المقابر
(يشير إلى مئات الصليبان مردداً في تأثر) .

هنا حياتي . .

(لحظة صمت) .

(يعود الحارس إلى الكلام مشيراً بأصابع مرتجفة) :

- وهنا يرقد شارل . .

- شارل . . ؟

- أنت لا تعرف شارل . . لو أنك عرفت كما عرفت أنا لما استطعت
أن تخارقه حياً أو ميتاً . .

- إنني أود أن أعرفه كما تعرفه . .

(الحارس يترك يديه وينظر إلى المائدة الخالية . . وإلى الساعة التي تدق الثانية
بعد منتصف الليل) .

- لقد بسينا . أنت لاشك لم تأكل شيئاً طوال هذه الرحلة . .
والحفر كان مضيئاً والطريق طويل . . هل تأذن لي في أن أحضر
شيئاً للعشاء . . إن حكايتنا سوف تطول . .

- شكراً . . لا مانع . .

(يخرج الحارس وهو يترك يديه . . ويتردد في طريقه إلى الكشك يطمع في
الخروج) :

- إنه شاعر . . بالها من ليلة رائعة سوف أقضيها مع الفن . .
(يدخل الكشك ليبيت قليلاً ثم يخرج ويعد الطعام . وهو يطمع غاطياً نفسه) :
ولكنني رأيته من قبل . . أقسم أنني رأيته . .

(بينما ترى الزائر نفس الوقت يقوم ليتمشى بالغرفة يتأملها وهو يتطوّر ذاتياً
ليلاً في عترة عسكرية كأنه لائد . .
يعود الحارس حاملاً الطعام ، حبيبة عليها حمود وخم وعشر طازجة وحين
ومرات مختلفة) :

(ينظر الزائر بإصماعة) :

- أوه . . هذه ولية . .

- إنها سعادة أن أخدم على مائدة شاعر عظيم . .

- أشكرك . . تفضل معي . . أرجوك . . اجلس . .

(يجلس مزدداً . . يلفت نظره صندوق القنار الكبير فيقول صائلاً في نبرة
وحلة) :

- يبدو أن سيدي يعرف على الجيتار !

- في دهنة وهو يظن أن الصندوق الجيتار . . ؟ أه . . نعم إنها هواية
قديمة . . لم أستطع أن أتخلص منها . .

- هذا رائع .. شاعر .. وموسيقار ..

(لحظة صمت) .. الحارس يصب كأساً للضيف .. ويقدم له طبق اللحم في

إعجاب وإبهار .. يصب لنفسه كأساً

الزائر .. ولكنتك لم تحدثني عن صديقك شارل !

- شارل .. نعم .. يا لها من أيام .. (يسرح ويمرح عليه الجنون) إن

الحرب شيء قذير .. (ثم يلوذ بالصمت)

- لم تقل لي كيف مات صديقك ؟

(الحارس يبدو ساهماً شاردًا .. يسمح جبهته .. لحظة صمت)

الحارس كانت ليلة الهجوم الكبير في العامين (بحجب عينه كأنه يرى أهواء

تولد) قصف المدافع .. وثوران القنابل الحارقة .. وأزيز

الطائرات .. ودمعة الرشاشات .. وهزيم الدبابات .. ما زالت

تصك أذني كأنها تحدث حول اللحظة ولم تمر عليها كل تلك

السنين

ليتها كان كل هؤلاء (يشير إلى ساكني القباركا يندون من النافذة) يمشون

تلك الساحة الخلاء بالحركة والحياة .. وكانت هذه السماء

مضيفة بالآف القنابل .. ولولا صرخات الموت هنا وهناك لحيل

للوائق هنا أنه في عطل سخاوي رائع .. إن منظر الدم يسكر ..

أقول لك إن منظر الدم يسكر (عين الحارس تلمعان) ولا يعرف هذه

الحقيقة إلا من جربها ..

إنك تخاف من الحرب ، وترجف من أهوالها طالما كنت بعيداً

عنها ، تسمع أخبارها على ألسنة الرواة ، وترى صورها في

الصحف ، أما إذا عشت في معيشتها ورأيت الدم يتفجر من

حولك ، فإن رأسك يدور ، وحلقك يحف ، وتتحول إلى حيوان

مفترس لا يعرف الخوف .. حيوان غشاش للدم ..

إن أسنانك تصطك الآن فجرد تصور السنوكي في يديك وأنت

تدفعه في قلب رجل وتشل منه الحياة ..

- إن أسنانك لا تصطك صديقي (في نشوة) إنه لمنظر شائق وشاعري

أن أرى الموت رأي العين .. وأرى الدم يتفجر كالجنوع من

القلب

- (يعلق في وجهه بندقة) إنه الجنون عينه .. لا بد أنك عشت هذا

الجنون .. لا يقول هذا الكلام إلا من فقد عقله يوماً ما في تلك

اللعبة المجنونة ..

- من يدري ربما فقدت عقل يوماً ما هناك ..

- إن مهنة القتل تثبت مغالب في هذه الأيدي الناعمة (يشار على

بعبه) اقتل .. اقتل .. اقتل .. اقتل في حماس وهمة إذا

أردت أن تنتهي من كل شيء .. يا لها من نشوة بشعة ..

- ماذا فعل صديقك تلك الليلة ؟

- كنا ساعتها نحارب في مركز أمان .. وكان علينا أن نخدم ببطء

نحت سائر من قابل المنفعة .. وكنا نرحف على بطوننا كروج من

الأفاعي .. وبين لحظة وأخرى نرفع رموسنا لنلق بقنبلة يدوية ، ثم

نعود ندفن رموسنا في الرمل ، وترحف من جديد (بصمت لحظة)

وفجأة ظهرت أمامنا دبابة معادية شقت الفياب ، وسحب

الدمعان ، وأطلت برأسها كخربت فيبح ، وأخذت تتقدم نحونا
بخطى رهبة ضاربة حولنا مياجاً كاسحاً من النيران . . . وكل لحظة
تخطى كانت تقربنا من موت أكيد . .
موت أكيد يمد نحونا أذرعاً أخطبوطية من اللهب والرضاح . .
والأمل واحد في المليون . .

معجزة . .

أن تلقى بقنبلة فتسقط في تلك الفجوة الضعيفة في برج الدبابة
وتنفجر في سائقها . .

فجوة من عدة مستحزمات يحبس فيها الموت .

ولحن نلعب معه لعبة كرة السلة

من يضع الكرة في السلة ؟

والموت يقرب . .

وأسمع وقع خطاه الحديدية وكأنه يمشي على أضلاعي . .

وأرتجف . . وأشعر أني مشلول تماماً . . وأتلفت حولي باحثاً عن

نجدة . . فأرى ذراع صديق شارل ترتفع بقنبلة يدوية تلقى بها في

الهواء . . ثم لحظة صمت وضمير الدبابة تقترب . . ثم انفجار

مروع وتتوقف الدبابة . .

لقد حدثت المعجزة . . ونزلت القنبلة في البرج . .

ويقفز شارل ليحتضني وهو يصيح . . هورا . . هورا . . لقد

انتصرنا . . ثم أشعر بريح صاخبة تلمح خدي وشي بهنفر ويمرقي

كاليرق إلى جوار أذني . . ويسكت شارل . . والتفت إليه فأجده

مازال يحتضني بذراعيه . . ولكن يا إلهي . . لقد أصبح

بلا رأس . . فقد أطلحت شظية برأسه من بين كتفيه . .

ويمكان الرأس فجوة رهبة يتفجر منها الدم كالنافورة . . ولكن

ذراعاه مازالتا تحتضاني في نشوة خرساء . . يالها من لحظة

فطيلة . .

كان يمسك بي يكلنا بديه . . جثة بلا رأس . . لا يريد أن

يفارقني حياً ولا ميتاً . . وكنت مازلت أسمع صيحته .

هورا . . لقد انتصرنا (في صوت ياك) انتصرنا . .

(لحظة صمت طويلة . . أخارس يلتقط أنفاسه ثم يندم . .)

كانت ليلة رهبة . .

أحياناً يجيل إلي أنها كانت كابوساً .

وأحياناً أذكرها فلا أصدق أنها حدثت هكذا كما رأيها في

الواقع ، وأني عشتها بحواسي وظالماتها بعيني . .

نعم . . لقد انتصرنا . .

وعاد منا إلى الوطن من عاد .

ورقد تحت التراب من رقد . .

ولكني لم أستطع العودة مع العائدين . .

كنت أشعر دائماً بذراعي شارل الخوتتين تضامني . .

وكنت أشعر أني أحياء مع الأحياء ، لأنه أراد لي أن أحياء . .

وافترقني بسبع . . ولم أستطع أن أفارقة . .

وطلبت من القيادة أن أبقى حارساً على مقبرته في هذا المكان

الموحش ، فهنا كانت حياتي ... وهنا كان مولدي الثاني ...
وسيكون مرقدي الأخير ...

(يسكت الخاريس ونرى عينه تلطمان ...)

(يظهر سكوه ...)

(يصب كأساً من الزجاجه ليخرجها دفعة واحدة كأنما لنطقه نارا شيت في داخله)

(عينا الزائر تلطمان ...)

(عويل الريح في الخارج ...)

(رعد وبرق وأمطار ...)

(في صوت مخافت) سيدي ... ماذا تقول في هذه الحرب ؟

الخاريس

:(يلقى برأسه إلى الوراء ويترجم):

الزائر

الموت في ثوان

والجحد في ثوان

وزبدة الحياة

طعمه النيران

برركت حياة

على شفا بركان

وسيوف تغسل آلاف الأفران

وتتداوى سرطان الإنسان

من سرطان الإنسان

(الخاريس في لشوة وعينه تلطمان):

- هذا رائع ... لكأنك كنت هناك تخارب معنا ...

إنك شاعر تقول الشعر من قلبك ...

كلماتك رصاصيات ... ألغام ...

(الزائر عينا شاردان ... يلقى بآيات أخرى):

ما أجمل السكنى

في ذلك الوادي بلا سكان

ما أجمل الصمت والسكون والخلوة

حيث لا مني ولا رجاء

ما أجمل الزمان ينسج الأكفان

يتوج الهامات بالريحان

يزرع الخلاء بالصلبان

الخاريس : نعم ... هذه هي الحرب ...

هذه هي الحرب بعينا ...

(خطة صمت) ...

(عويل الريح في الخارج) ...

(رعد وبرق وأمطار) ...

الخاريس : لكم أحب أن أسمع معزوفاتك على هذا الجيتار (مشارفاً على

الصندوق) لايد أنها رائعة مطربة مثل أشعارك ...

(الزائر في ابتسامة غريبة وعينه تلطمان ينظر إلى الصندوق):

- أوه ... هذا الجيتار ...

(يميل على الصندوق ويفتحه)

(الخاريس يظهر أنه يكاد يفنى عليه وهو ينظر بداخل الصندوق فلم يكن هناك

جيشا ولكن مدفع رشاش).

(الزائر عينا للمكان ويتألمر منهما الشر وهو ينظر إلى الآلة القبيحة المجهمة
الرائدة في الصندوق.

يحمل على المدفع الرشاش يلتقطه من مكانه.

ثم يتفحص فجأة على قلميه واقفا في وضع استعداد ويده على زناد المدفع .
الحارس يقفز إلى الهواء مدعورا .

ميدى . أنت لا شك تخرج . . .

(في صوت معدى بارد لا أثر للإحساس فيه) لا . . . أنا لا أخرج إنما

صناعتي الحقيقية . . . أنا قاتل صناعتي القتل . . . أما الشعر فهواية

أعارسها في أوقات الفراغ .

ولكن .

(في صراخه) وقد حان وقت العمل . . . وعلينا الآن أن نقتل . . . كفى

ما قضيناه من وقت طوال هذه الليلة المتراحة في الكسل وقرص

الشعر .

ولكن يا سيدى . . .

(في صوت فظيع) أريد أن أقتل . . . أريد أن أقتل (يحفظ عيناه ويشرح

مدفعه الرشاش وتمتد يده إلى الزناد وتظهر شفاة عن أسنان للحية قاسية وتظهر

عليه تلك السحنة المقلوبة التي يعرفها جيدا كل من تعامل مع قتلة وسفاحين)

الحارس : (في نوح) ولكن يا سيدى . . . بحق المسيح ماذا تريد أن تقتل

هنا . . . إن كل من نراهم حولك قتلى بالفعل (يشاور على التفتين

أكثر من ٨٠ ألف قتيل تحت هذا التراب . . .

الزائر

: (في هدوء وبرود) إذن لا بد من إحيائهم من جديد لأفئدتهم ثانية .

الحارس

: (يكاد يضحك وقد أيقن أنه أمام مجنون مكاث العقل) ولكن يا سيدى

كيف ؟

الزائر

: هذه هي سنة الحياة .

— ومن الذى وضع هذه السنة .

— القادة والمصلحون من أمثالي .

— وهل القادة والمصلحون صناعهم القتل ؟

— (صارخا) نعم أيها الأحق . . . لا بد أن يكونوا قتلة لينظفوا الأرض

من الخثالة القديمة ويعلمونها لغرسهم الجديد .

— إنما لقصة بشعة .

— بل هي أغنية رائعة . . . قصيدة . . . معزوفة موسيقية بديعة . . .

انظر . . .

يبدأ في الضغط على الزناد ويطلق الرصاص في الهواء ينجا الحارس

يقفز يمينا وشيالا من الرعب والزائر يرقص مختالا بمدفعه ، وكأنه

عاشق يخاصر معشوقته ويرقص بها . . . ويطلق الرصاص في كل

اتجاه في نشوة وهو يقول بصوت بارد :

— إنك لن تصبح قائدا . . . إلا إذا استطعت أن تقتل وأنت تغنى . . .

لن تستطيع أن تصنع الحياة إلا إذا صنعت الآخرين الموت . . .

هذه سنة الوجود .

— ولكن هذا شيء فظيع .

— أنت تقول هذا لأنك رجل تافه . . . أنت واحد من ألوف التافهين

بلا إرادة . . . ممن لا يعمل لهم سوى أن تصدر إليهم الأوامر . .
أوامرنا . . . لن تكون شيئاً في يوم من الأيام . . أنت وغيرك مسامير
صغيرة في العربة التي تقودها . .
هذا أفضل من أن أقود عربة هي في الحقيقة عربة الموت
والفناء . .

الزائر : أنت مسمار في هذه العربة . . أردت أم لم ترد

(يطلق الرصاص في كل اتجاه وهو يضحك بينما الحارس يقفز في رعب بينما
وشالاً) . .
(يكف عن الإطلاق . . وينظر في إشفاق إلى الحارس المدعور) . .

يبدو أنه لا أمل في شفائك من هذه التفاحة . . إن لقاء الموت في
حرب صنادقة لم يعلمك شيئاً . .

لقد تعلمت . . لقد تعلمت أنه لا فائدة . . الغالب والمغلوب
كلاهما رأيتهما مهزومين خاضعين أمامي . . لقد أفلس الكل ولم
يكسب أحد . . وربما كان المنتصر الحقيقي هو المهزوم . . فيلادى
العزيزة المنتصرة تمد أيديها لتشجذ وتقترض اليوم من ألمانيا . .

فيلادى التي طردت ألمانيا من أوروبا تقف اليوم مطرودة من أوروبا
شحاذاً على بابها . . فم كانت هذه الحرب الصنادقة كما تسميها ؟

ألمانيا الفكرة انهزمت . . وهذا فيه الكفاية . . ألمانيا النازية
والفاشية انهزمت وانسحفت . . لا يهم بعد ذلك أن تنصر ألمانيا
الناس . فهم هناك يعيشون بالفكرة الجديدة التي أرادها لهم
الحلفاء وهذا انتصار كاف . لقد انتصرت فكرتكم . . وهي التي

تحكم ألمانيا الآن . . ماذا تريد أكثر من ذلك ؟

- الفكرة . . الفكرة . . ولكنا آدميين ولنا أفكاراً . . نحن بشر
نريد أن نعيش لا أن نشجذ .

- ولهذا سوف تشجذ لأنه لم تعد في رأسك أفكار . . وحينما يفلس
العقل فهذه بشارة بأن الإفلاس الكامل في الطريق .

- وهل يحمل لنا مدفعك الرشاش ثراء ؟

- إنه يعمل لكم الجحش .

- الجحش . . الجحش . . الجحش لك . . (يقفز من مكانه) إنى أعرف ذلك

الصوت وتلك النيرة . . وهذه القامة المشرعة . . لقد رأيتك تسير

في مقدمة كل جيش منذ أن ظهرت في العالم جيوش واشتعلت

حروب . . وسمعتك في كل مناسبة تحمل رحلة الموت بالشجر

وتربها بالعبارات الرثانة البليغة . . إنى أعرفك . .

(يصيح) أنت الشيطان ذو الألف وجه . .

(يسم الزائر . . لم يضحك . . ثم يتجرف ضحكة شيطانية مجلجلة . .)

أنت متفاج هذه المقبرة . . لقد أطمعت هذه الليلة قتلى

وجلاذى . . أنت الذى قتلت شارل ونزعته رأسه من بين

كتفيه .

- هذه المسألة بترك الحكم فيها لشارل . . ربما لو بحث حياً لشكرنى

على هذه الخدمة . . ثم إنه كان لابد سيموت على أى حال . .

لما الذى يمنع من أن يموت مبته درامية فيها كل هذا الفن . . أن

تظهر رأسه هكذا من بين كتفيه . . صدقنى إنها صورة شعرية

الحارس

وأدبية رائعة .. إنها تبدو شيئاً كالجزاز ، وكرموز الأساطير
والأحلام إنها مبنية فيها الكثير من الابتكار والتجديد .. هل تذكر
أنها تصلح صورة أو نمثلاً أو حلوة مشيرة ..
- ولكنه كان يريد أن يعيش .
- أوه .. هذه مسألة أخرى .. كلنا نريد أن نعيش ومع ذلك
نموت أليس كذلك ؟
- بعد أن نطعن في السن ونقضي أوطارنا من الحياة .. ولكنه مات
طفلاً .
- يا ط من قصة مؤثرة بحركة للشفقة .
- وهل مثلك يعرف الشفقة .
- (في حركة مسرحية) أنت لا تعرفي .. إن قلبي يتدفق بأنبل العواطف
والشاعر .. إن عيني هو الاشتغال بالعواطف ، وهل كان ممكناً
أن تقوم كل هذه الحروب بدون عواطف ؟
- عواطف كاذبة .
- هذا ليس شأني .
- أنت ورائها أنت تحركها وتشيرها .
- هذا دأبكم دائماً .. تكذبون كل يوم ثم تمسحون أكاذيبكم في
وكأنني أشعلت هذه الحروب وحدي (يهز) أيها الأحسن إني
لا أحرك فيكم شيئاً ليس في طيبتكم .. هيا افرد وجهك ..
فلا شيء يبدو أغنى من الإنسان حيناً يدعي العصفرة والفضيلة
ويزعم أن الشيطان هو الذي دفعه إلى كل شيء (يلفت حوله باحاً)

الزائر

الزائر

أي شيطان . (يبحث تحت السرير .. ولتحت الملاءة .. وفي سلة
المهمات)
إني لا أرى شياطين هنا .. لقد هربت الشياطين من زمان .. من
أول طلقة بندقية .
أيها السرجنت الأحسن أفق من أحلامك .. وصب كأساً ثانية
لقائد فرقك البريجادير وطنون ..
(ينظف الحارس والمطافئ .. ويؤدي التحية العسكرية وهو يهف)
- سيدي البريجادير .. يا إلهي كيف غاب عن ذهني هذا الوجه كم
أنا أحسن ..
: (في ابتسامة) هذا حسن مادمتا تعترف بأغلاطنا في النهاية (يخرج من
جيبه نيشاناً) نيشان لك مكافأة على اعترافك بالحقيقة (يضع النيشان
على صدره)
(الحارس يعود ليضرب سلاماً آخر ويؤدي التحية العسكرية)
- سيدي البريجادير .. إنها معادة كبرى أن ألقاك ..
(يمد يده مصالحاً في إكبار واحترام) ..
: والآن اجلس فليس أمامنا وقت نضيغه ..
(يجلس في وفار وخوف)
(البريجادير يسطر على المائدة خريطة تفصيلية للمواقع الحربية ويشير بأصبعه)
- ٨٠ ألف قتيل علينا أن نحصل على إحيائهم فوراً .. لنقتلهم من
جديد .

(الحارس يقوم وهو يرتجف وينظر إلى زائرة في احتيال قاتلاً في نهاية)

- سيدى البريخادير .

- (في صراحة) الحرب هي الحرب . . لا بد أن نقاتل . . أتعرف

ما معنى أن تكون جندياً ولا تقاتل .

- ولكن يا سيدى (ي ضرب سلاتاً وهو يرتجف) .

- وما معنى أن تضع النباشين على صدرك ولا تفعل شيئاً . . معناه

أن تشتغل في التشريرة . . أوفى اصطبلات الخيل . . أوفى

البلدية . . أو تسير على أحسن الحالات وراء الموتى (يحيط المائدة بيده

لحياة ويضح) إذا كانوا يريدون السلام لماذا يسلحوننا بالمدافع

الرشاشة ؟ لماذا يملثون المخازن حتى تطفح بالقنابل والمتفجرات ؟

لماذا يصنعون المقاتلات والصواريخ ذات الرؤوس الذرية ؟

لماذا 1 ؟ ليطلقونها في الأعياد أيها الأحق . . ومثل . . كيف

يستطيع أن يثبت أنه بريخادير كفاء . . بالمشى في الاستعراضات

كل سنة 1 ؟

- إنهم يفعلون هذا لحماية السلام .

- ليحمون أنفسهم من أنفسهم . . هيه . . اعتراف صريح بالنيات

الخبيثة المضرة .

- إنه الخوف . .

- كل واحد يلبس درعاً من حديد تحت قبضه لأنه يخاف من

الآخر ، ويخشو فسدسه لأنه يخاف من الآخر ، ثم يطلق

الرصاص من فرط الخوف في النهاية . . إنها نفس القصة كل

مرة . . لا . . . إن السلام لا يمكن أن يبنى على الخوف . . هذه

مغالطة . . بالهبة والثقة والنيات الحسنة وحدها يقوم السلام . .

هذه هي الحقيقة البسيطة .

- هذا رائع يا سيدى .

- ولكنى لست قس الأبرشية لأقول هذا الكلام . . أنا البريخادير

وطسوت . . إن لباسى العسكري والنباشين على صدرى تكلمينى

وتفصح صناعى . . إننا نقول كلاماً ونفعل كلاماً آخر . . إننا

كذابون . . كذابون . . لاشياطين هناك . . نحن الشياطين

كلنا . . كلنا . .

(ينظر الحارس مؤدياً التحية العسكرية مرة أخرى بينما يصرخ الزائر) :

- على بالذخيرة . . الذخيرة . .

(أمطار ورياح معولة في الخارج) .

(يخرج الجندي وهو يظف حوله في جبال ويرتجف) .

(لرأة يقف في الصحراء حائراً . . لا يعرف ماذا يفعل) .

(الزائر في الغرفة يضح) :

- الذخيرة .

(أمطار ورياح مزعزعة . . الغرفة تهتز . . ثم يقطع النور على المسرح ثم ينطفئ

تماماً . . لحظة ظلام) .

(صوت في الظلام . . الذخيرة . . على بالذخيرة . . على بالذخيرة) .

(حينما يضيء النور من جديد نرى الجندي عائداً إلى الغرفة . ولا يرى الغرفة

أحد . . إنها مرتبة منظمة كما رأيناها في بداية الفصل) .

(والحارس يظف حوله في احتيال وهو ينتبه) :

- سيدي الريحادير .. سيدي الريحادير ..

(الثالثة نطقاً لا أثر لعشاء بها)

(الحارس يبحث في كل مكان وهو يغمغم)

- أين ذهب الرجل ..

(يطحن الحيزان .. بصيح)

- سيدي الريحادير .. أين أنت ؟

(يلتزم عليه الصعر الشديد)

(صوت نقرات على الباب)

(نقرات على كل الأبواب)

(الحارس يظلم كالمثالث)

(تسمع صوت طلقات مدفع وشاش ولكننا لا نرى شيئاً)

(وتسمع صوت الريحادير وكأنه يخرج من الخلف ..)

- وداعاً يا صديقي .. لن أغيب طويلاً .. سوف أعود إليك في

القريب .. وحينئذ يكون الألوف من ساكني هذه المقابر قد ولدوا

من جديد وتكون هناك فرصة للذهاب الجديدة (طلقات المدفع

لوشاش)

(الحارس يقفز مرعوباً في الهواء)

الصوت : لا تخف لن أقتلك .. إن قتل فرد واحد ليس من أخلاقنا .. إنها

عادة المجرمين .. أما القادة المصلحون أمثالنا فإنهم لا يقتلون

أفراداً ، وإنما يقتلون بالألوف وبالشعوب جملة .. إن عملية

الإصلاح عملية شاقة صديقي

ليلة سعيدة .. وغنيات طيبة لأخوانك .. ولقاء قريب

(صوت موتور عربة يبدو عالياً .. ثم يتعد رويداً رويداً ..)

(الحارس يقفز خارجاً)

(ينظر إلى الطريق)

(لا يرى شيئاً)

(تراه يرسم علامة الصليب على صدره ويغمغم)

- يا إلهي .. إنها الشياطين .. الشياطين .. ليحمتنا الرب

(ستار الختام)

الْحَمْدُ لِلَّهِ

(في القرفة ٥٢) يفتلق بالبحا بالرباط يتزل عالم الزلازل الإنجليزي مستر كالدويل .
رجل نحيل مخصوص بخط ، نحيل إليك أي عمره ألف سنة . . . ليس طقم أسنان
وموكل . . . ويده ترلحف باستمرار ، ودائماً تحت إبطه كتاباً . . . وغالباً
ما يكون هذا الكتاب مخطوطاً قديماً متأكلاً ، ولكن يحميه في جنان كأنه ابن
عزير .

ومستر كالدويل يحب الكلام ، شأن كل من أمضى عمره في التمرس . . . وغيره
دائماً يتكلم عن الماضي .

والماضي عند مستر كالدويل هو أيام بابل وأشور ومنف . . . فلذا كثره تبدأ من تلك
سنة إلى الزمان .

التيق بالستر كالدويل أن مقتطف الفندي . . . كان وجهه يقطن بالسرور
والانسراح ، وتحت إبطه جاروف وفانس .

مال على ثم أخرج من جيبه خريطة من ورق قديم مهلهل . وبسط الخريطة بيده
المرجفة على الطاولة ، ثم راح يشير بأصبعه وهو يجس :

- هل تعرف هذا المكان . . . إنه مكان هنا في الرباط . . . عند
المقابر . . . ولكنه طبعاً لا تمت إلى هذا العصر . . . فهذه الخريطة كما
تري خريطة قديمة جداً من أيام الإمبراطور صوكليان .

هل تعرف الإمبراطور صوكليان ؟

فظهر على وجهي الجهل التام . . . وأردف يشرح :

- إنه الإمبراطور الروماني الوثني الذي قتل وأحرق آلاف النصارى

المعين

(ثم عاد يشير بأصبعه المرفوعة إلى علامة بالأحمر في منتصف الخريطة ، وراح يفسر بنية مشعرة بالانفعال) -
وهنا بالضبط كنت .

(وأعجبته ملامح الاهتمام التي كنت أوجهي فقال) :

- وأنا الآن ذاهب لأكشف هذا الكثر.

(دولوح باخاروف والفاس)

- هل يُذهب عن

(فصل: لا بلا تردد) :

1

(والتبت فتجان القهوة دون أن أشربه وخرجت أهرول علهه).

(وفي أثناء الطريق كان مستر كالدويل يتكلم عن أبيهم صوكليمان وكان يتوقف بين لحظة وأخرى ليقول) :

• هنا كانت توجد قلعة رومانية مكان هذا المسجد ، وهنا كانت

توجد حكايات رومانية... وهنا كان ملعب

وكانه ينسني في أماكن ولد فيها ويعرفها بيتنا

ورقق أمام أحد البازات ليتحدث عن معركة رميدة حدثت
بالسلاح الأبيض منذ ألف سنة

وطلب منى الوقوف صامتاً دقيقة حليلاً على أرواح الشهداء .
ورقت على مضض وعقل لا يفكر في شهداء ولا في معارك ،
وكل خيالاني أصبحت تجري وراء شيء واحد هو الكثير .

ليس لدينا وقت .

وكان قيل إلى في تلك اللحظة أن جميع علماء الآثار قد عرفوا الطريق إلى ذلك الكنز ، وأنهم يساقوننا إليه .
وشددت من قواعده لأستعجله .

وَقَضَيْنَا فِي الْعَرِيقِ

وأمام قرافة على أطراف البلدة ، توقف المسير كالديويل وبدأ يحمل
البصر حوله ، ثم يتحقق من الخريطة ، ثم أشار إلى مكان على
اليسار قائلاً :

ثم بدأ يتلى سور القدر ، وأنا أتلقى خلقه

وظهر لنا شريط من وراء الجور كأنما انشقت عنه الأرض . . .
وقلت لبقيني . . . فباع الكثر وسوف غبت الليلة في زمرانة
القسم . . . ماذا ستفعل في هذه المصيبة . . .

ولكن مستر كالدويل الذي كان قد أعد لكل شيء عدته أخرج
الباصور وتذكرة الهوية وإذناً عاجلاً بالتقييد . وسلمها
للشرطي . فلراجع هذا لحظة إلى الوراء وحيثما بأدب معتقداً
وانصرف وقالت لنفسه إن مستر كالدويل هذا أعظم من
شركوك هرلر وشعرت بالثقة والأمان . وباليقين إننا سوف
نعود بكثير لم يسبق له مثيل .

ورزجت أحلم بضائيق الذهب وعقود التلويح والحاس.

وعادت في الذاكرة إلى أفلام المغامرات ، وكيف كان البطل

الغواص يكشف سقينة القرصان القديمة الفارقة ، ويسلّل إليها
ثم يخرج حاملاً ذلك الصندوق الرهيب .
وكان مستر كالدويل قد توقف وأشار بأصبعه وهو يقارن الخريطة
بالمكان :

- هنا يكون الخضر .

ويدون أن أنتظر دعوة منه ، أخذت منه الفأس وبدأت أصقل
جهة ، وأخذ هو يعبث بالحاروف في الأتربة التي تخرج من
الخضر . وفجأة سمعته يصيح :

وانفني بفحص قطعة حجر بعنسة مكبرة في يده وهو يهتف :
نعم . . . بالضبط . . . إنها كتابة . . . يا إلهي . . . من يصدق . . .
وبهذه السهولة . . . وبهذا القرب من السطح إلى أحلم . . . هذا
مستحيل . . . هذا أمر مذهش . . . هذه معجزة .

ونم أنهم شيئاً .

وأخذ مئى الفأس وبدأ يخفر في حنان شديد ويدق بالفأس كأنه
يدق على قلب حييه .

وما لبث أن خرج بقطعة حجر أخرى ، ثم بلوح مكسور إلى عدة
قطع ، ونظر في اللوح ثم صرخ وهو يتأوله ل :

إله هو . . . يا إلهي لماذا لا تصرخ معي ؟ لماذا لا تجن ؟

- أجن على ماذا ؟

- على الكثر .

- أي كثر .

- هذا الذي بين يديك .

- ليس بين يدي سوى قطعة حجر .

- انظر فيها . . . اقرأ . . . اقرأ . . .

- هذه شخبطة لا معنى لها . .

- إنها ألواح صوكليسيان يا رجل . . إنها ثروة أثرية تساوي ألف
مليون جنيه .

ورحبت ألقب الحجارة القدرة دون أن أفهم شيئاً . . هل من
أجل هذه الحجارة جثا ؟ ! وتخرت أحلام الذهب والماس
وكنوز القراصنة . . وشعرت بغية أمل لا حد لها ، ووجدت
نفسي أقول له في حيرة :

- حسناً . . ومنى ستحصل على الألف مليون جنيه ؟

(وأجاب في استكبار شديد) :

- يا سيدى هذه أشياء لا تباع . . هذا كثر للتاريخ لأنه لا يوجد من
يملك ثمنه .

قلت له متوسلاً :

- يمكننا أن نتنازل قليلاً ونبيعه بمليون .

(فنظر إلى لي احتار شديد) :

- إنها تكون جريمة . هذه خبطة أثرية للمتحف البريطاني ، ومادة
توضع عنها عشرات الدراسات والبحوث والنظريات . . هنا
مجد . . . مجد .

ومضى يخفر في هستيريا ويجمع كومة من الحجارة القدرة في

مخلّاه .

ووقفت أتفرّج وأنا أؤكد لنفسي أنّي لا بدّ رجل جاهل جداً
لا أنهم في الدنيا شيئاً .

وفي الطريق إلى الفندق كان مستر كالدويل يتكلم بسرعة مائة
كلمة في الدقيقة ، وكان يجبل إلى أن الرجل جن .

وكان أول ما فعله عند وصوله إلى غرفته أن أفرغ المخلّاة على
الأرض وركع بضعه كل قطعة حجر وهو يكاد يقبلها من
الفرحة .

وأمرع بحرر عددًا من اليرقات .

وطلب لندن على التليفون عدة مرات .

ولا شك أنه لم يتم تلك الليلة .

وقضيت أنا الليلة أفكر وأحبط كلّما يكن وأقول : هذه الدنيا

مليئة بالجنائين . . ولكن الصباح التالي كان عجيباً لي مفاجأة

أعجب . . فقد أقبل خادم الفندق وأنا أشرب القهوة وهم يهفون

في ذعر . . تعال الخلق صديقك .

وفي غرفة مستر كالدويل رأيت الرجل منهاراً على الأرض وهو

يصيح بصوت مخنوق :

- الجرس . الجرسون . . الجرس . الجرسون .

- ماذا فعل الجرسون .

- رمى ألواح صوكليسيان في الرابطة في حين كنت في مشوار

بالبنك . وكان الجرسون واقفاً أصفر الوجه من المفاجأة يقول لي

حيرة وهو يقلب كفيه :

- يا سيدي لقد وجدت كومة من الحجارة القليرة المخرّبة مبعثرة على

أرض الغرفة فكنسيتها ، ماذا كان متوقعاً مني أن أفعل غير ذلك .

- ولكنها ألواح صوكليسيان ، ألواح صوكليسيان .

- يمكنني أن أجمع لك كومة حجارة أخرى مثلها من الطريق

يا سيدي .

وشعرت أن مستر كالدويل سوف يعنى عليه من هذا الود ، وقال

بصوت مشروخ :

- ولكنها ليست حجارة إنما ألواح صوكليسيان .

ونجّلت نبرته إلى لحيب عثيق :

- ألواح صوكليسيان ، ألواح صوكليسيان .

ووقف الجرسون يقلب كفيه دون أن يعرف لماذا يجب .

• • •

أفيس مشير

خيل إلى لأول رحلة وأنا أنظر إلى القفص من بعيد إلى أرى بداخله زهرة فاللغة
الألوان ، ولكن حينما اقتربت تبين لي أن ما حسبه زهرة لم يكن إلا الأعضاء
التناسلية لقرد من ذلك النوع المعروف من قزود الكونغو التي تتميز بأعضاء تناسلية
ملونة . . . فنظر مألوف يراه الأطفال في حدائق الحيوان ويضحكون عليه .

ولكن بالنسبة لي كبيولوجي كان أمراً مشيراً للتأمل .
لماذا عادت الطبيعة في هذا القرد إلى أسلوبها القديم .
إنها لم تلجأ إلى تلوين الأعضاء التناسلية إلا في النباتات .
فالورد في النباتات (إنما فيه من أعضاء تذكير وأعضاء أنثى)
دائماً ملون . . . الطبيعة أضفت عليه ألواناً جذابة مبهجة ، وأكثر
من هذا جعلته في مكان ظاهر ملفت على سطح النبات ، وكأنه
وسام تفنن به . . . أما في الحيوان فقد غيرت الطبيعة سياستها
وعادت إلى إخفاء الأعضاء التناسلية وطمس معالمها ، وإن
كانت قد نسبت المشاه والخلمة كأعضاء ثانوية ملونة على الوجه
والصدر .

الطبيعة كانت دائماً مهتمة بعمل يروا يجتهدا للتناسل ، يروا يجتهدا
على طريقة الأفيشات الملونة .

ولكنها في الحيوان غيرت طريقتها واشكرت طريقة أخرى أذكى
هي الغريزة الجنسية . . تلك القوة غير المنظورة والعمياء التي تدفع
بالذكر إلى الأنثى دفعاً دون حاجة إلى أفئشات .

كنت أفكر في هذا وأنا أنظر إلى القرد الحبيس في القفص وهو
يلهم مسروراً بأعضائه التناسلية الملونة ، ويشم أنثاه ويقفز حولها في
براعة في حين يصفق الأطفال ويصفز الأولاد ويقذفون له
بالسوداني والقبول الخرافي .

وكان واضحاً أن هذا القفص بالذات قد فاز بأكبر مجموعة من
الجمهور . وكان واضحاً أيضاً أن هذا القرد هو دائماً نمره شيك
رابعة يدلل قشر السوداني المتراكم في قصفه بكثرة غير ملحوظة
في باقي الأقفاص .

وتذكرت الأفلام المصرية والمجلات التي تخدش أعينها على طريقة
هذا القفص .

وتذكرت البكيني . . والميني جيب . . والسوتيان المودرن ذا
الحلقة . . والكلاوت المودرن ذا الشيك (ماركة تليفزيون) .
والمخرجين الذين يسلطون الكاميرا على مؤخرة الراقصة . وصحبت
من ورائي جلست امرأة في الأربعين تهمس لزوجها الذي وخط
الشيب رأسه .

- فأكر زمان في أول جوازنا لما كنت عامل زى القرد ده .

- يا وليه اغتشي .

وفهمت المرأة وكان يدمر في صوتها السعادة في حين راح الرجل

بلفظ الدخان في عصبية من قه ، ويأخذ عدة أنفاس دفعة
واحدة من سيجارته ، ويجذب المرأة بعيداً عن القفص .
وإلى جوارى كان هناك شاب يقنع ذراعه في ذراع فتاة . .
وكانت الفتاة تشيح بوجهها وقد تضرع بالحمرة ، والشاب
يضغط يدها هامساً :

- برضه مصرة على إنك تروحي البيت دلوقتى .

- الساعة واحدة وزمان بابا جاي . .

- قوليله كان عندك مخاضرات إضافية .

- مش معقول .

- مش معقول ليه .

- ما أقدرش قلت لك ميت مرة ما أقدرش .

- حانقعد نص ساعة بس .

- ولا دقيقة .

- طب تروح كازينو .

- أيوه كازينو معلش .

- الشبعنى بقى .

- أنت عازف مبادل .

- وهو يعنى لما تبجي تزورينى تبقى حاجة ضد مبادلك ، ولا تروح

لخالى تبقى مششية مع مبادلك .

- عاوز تخدنى مصر الجديدة عندك أنت اتجملت .

- اتجملت ليه . . فيها إيه . . حانقعد نشرب شاي .

طيب ما تشرب الشاي . . في جزيرة الشاي .

(وضحك الاثنان . . . وقالت الفتاة في حزم .)

اوعى تفتح الموضوع ده تاني . . سامع .

سامع

(ولكنهما ظلا والفتي أمام التلفاز .)

(ومضت أيلول في الحقيقة)

(ولكن موضوعاً واحداً ظل يلح على ذهني . . ذلك النزاع البيولوجي

الضرف) :

لماذا عادت الطبيعة إلى أسلوبها القديم مع ذلك الفرد ؟

لماذا عادت إلى طريقة الأفيشات الملونة في الدعاية .

ألم تكن الغريزة كافية ؟

وهل يمكن أن تحدث أمثال هذه الردة مع الإنسان فيخرج منا

نسل له ذيل أو خياشيم أو عروق كعروق الديك ؟ أو رقبه كرقبة

الزراف ؟ أو جناحين كالطيور .

هل كانت الطبيعة تلهو ؟

ونسبت حكاية الفتى والفتاة ، وانشغلت بهذا السؤال البيولوجي

العويص .

وكان أمراً مشيراً للفرع أن تلعب الطبيعة معي هذه اللعبة فأعجب

طفلاً له ريش ، أو طفلة لها ذرقة كالسلحفاة .

وإذا كانت الطبيعة ارتفعت من الحيوان إلى النبات دفعة واحدة .

فإنها يمكن أن تقع في ردة أبسط من إنسان لحيوان مثلاً .

وكان الخاطر . . مجرد الخاطر فظيماً جعلني أنسى كل شيء .

وكنيت أعلم كبيولوجي أن هذا ممكن .

وكلنا نقرأ في الصحف عن طفل ولد بشعر ، وطفلة ولدت

بأصابع غشائية كأصابع الضفدعة . . إلى آخر هذه المصوغ التي

تخرج فيها الطبيعة مزاجها الثقيل الخفيف .

لماذا تفعل الطبيعة هذه الأفعال ؟ هل وراء ذلك حكمة ؟

أو هو الخطأ كما يردد الشيخ فيتصالي ويضيف شعره ويبحث عن

لوليتا ، ثم يردد في النهاية طفلاً يسكن على قطعة حلوى . . كذلك

يمكن أن تخطئ الطبيعة .

كنيت غارقاً في هذه التساؤلات .

وكنيت أشعر أن هذه التساؤلات أكثر من مجرد تساؤلات علمية

فهي تمسني شخصياً . . بل هي تمس جنسنا كله .

وكنيت أحلك جنينياً باحثاً عن جواب .

وكنيت قد بلغت باب الحقيقة .

ورأيت الفتى والفتاة على الباب .

(كان يتعمد والجنى يفتح لها باب التاكسي وهو يقول للسائق بصوت رافض من

الفرحة) : على مصر الجديدة .

ثم يحيط بحصرها في حنان ويدفع بها إلى داخل التاكسي .

وتذكرت الحوار الغامض .

أخيراً . أخيراً وافقت .

شكراً للفرد .

لا شك أنها وظيفة ثانوية لم تفكر فيها أمة الطبيعة حينما صوّت لنا
القرود على هذه الصورة ... ولم يفكر فيها القرود أيضًا ، لقد نجح
الأفيش .

• • •

الرجل الذي تحول إلى ضوضاء

في مثل تلك الساعة من الليل ، كان الكورنيش الممتد بطول البحر يبدو كلعبان
ميت . . لا صوت . . لا حركة . . لا حياة .

البحر يوشوش كأنه يقول كلمة السر
وأعمدة التور شاخصة في سكون كخاريت تصمت وقد أشرعت رؤوسها
المضيق . . والسما عجايب أسود ملىء بالخروق تطل منها صلابين العيون الدافقة
تومض وتريق . . ورذاذ المطر ينزل شحيحاً من جو مشبع بالرطوبة لترجى
النخلة

ورائحة الأصداف والطحالب تضرع بذلك العطر القديم قدم الطبيعة
وصوت الغمامي البطيء لتردد مبلة هي الأخرى بالرطوبة . وأنا متكى على نوى
الكورنيش أحلق في الظلمة بلا نهاية . أصغى إلى وشوشة البحر . أحاول أن
أفهم كلمة السر . من أين ؟ إلى أين ؟ وكيف ؟ وماذا ؟ وماذا وراء ؟ وما
الغاية ؟ وما المعنى ؟ وما السبب ؟

أحاول أن أفهم اللوحة والرسم والرسم .
وأعود فأندكر أني لست بسوي رسم صغير تألفه ثانوي في اللوحة
الكبيرة . . مجرد خط . . بقعة لون . . نبضة . . مثل هذه
النبضات الصغيرة التي تنعقد وتتحل على سطح الماء وتختفي
بلا عودة .

نقطة في طوفان .

أحاول أن أفهم .

والموج يعلو .

منذ ألف سنة كان الموج يغطي .

لم أكن موجوداً .

وق غيوبة المصمت والسكون والإغراق في التساؤل لم أسمع ذلك

الصوت الذي كان يزحف سريعاً مقتحماً الشارع كأنه خنجر .

ومن خلق ظهر ذلك الشيء الأسود فجأة .

عربة طويلة أثيقة فارهة مثل سكين سوداء الفصل .

وكانت لحظة قصيرة جداً حدث فيها كل شيء بسرعة مذهلة .

اصطدمت العربة بالكورنيش محدثة صوتاً عظيماً مروعاً ، ثم

نهضت ووقفت كصنوبر كبير فقد رأسه .

وتعاقبت بعد ذلك الأحداث في نظام واستطراد دقيق .

انفتحت عدة نوافذ وأبواب وخرجت وجوه سهرانة .

خدم المقاهي وعلب الليل وخبراء ويوايون .

وشجعت حلقة صغيرة ، وامتدت عدة أعناق داخل العربة ،

وصحمت عبارات قصيرة مقتضبة :

- نعم إنه هو .

- إلى جواره زجاجة الخمر فارغة كالمتألم .

- مات . . انتهى أجله .

- يستحق هذه النهاية .

- فاسق سكير هائل حرمت .

- جمع ثروته من بيع الخفريات .

- من قتل يقتل ولو بعد حين .

- بالأمن خدم طفلاً في هذا المكان .

- متزوج من ثلاث نساء وكان يلتقط قنابات الليل من الطريق .

- عمل تخطيطات . . أنتم تخطون .

- إنه رجل آخر .

- إنه حضرة المقاول .

- الذي بنى عمارة الكورنيش التي انهدمت .

- الغشاش الذي نقش في المواصفات وبنى العمارة بدون منسلح

ليضعف من أرباحه .

- الله لا يبارك في الحرام .

- انهدمت العمارة على السكان الأبرياء وماتوا .

- ليشرّب هو الخمر ويقود العربة اليويك في منتصف الليل

كالخائن .

- الله انتقم من الظالم .

- ولكنه ليس المقاول . . إن المقاول لا يركب عربة سوداء . . إن

عربيته حمراء وشيخرويه وهو الآن في الكويت .

- إذن من يكون .

- لقد عرفته إنه مدير السجن .

- الذي كان يعذب السجناء .

- دون أن تكون لديه أوامر .

- إنه مريض بالسادية .
- هذا غير صحيح فدير السجن معتقل الآن رهن التحقيق .
- نحن أمام رجل آخر .
- أظن أنه مدير الجبرك .
- الذي أتى من التوب .
- بل هو التاجر الكبير الذي نشرت عنه الصحف .
- الذي كان يتاجر في أدوات الاستيراد .
- لا أظن فهو لا يبدو من ملاحه أنه مصرى .
- شكله إيراني .
- بل هو تركي .
- أهدأ . . هذه ملاح مألوفة . . لا يمكن أن يكون هذا الوجه
أجنبياً .
- إذن من يكون .
- واحد . . أى واحد .
- كان يشرب الخمر وأفرغ الزجاجه .
- ولماذا كان يشرب الخمر ؟
- هذا شأن البوليس .
- لم يعد من شأن أحد .
- لقد مات .

وكانت الحلقة تنبع شيئاً فشيئاً ، والأسئلة تنداح كاللواتر ،
وجاء البوليس والإسعاف والنيابة والصحافة .

- وكثرت الأسئلة .
- وارتفعت الضوضاء .
- وأصبحت لغطاً .
- وفي الصباح وأنا أمر بالمكان في طريق إلى عملي لم أجد العربة
المهشمة . . ولم أجد أحداً . . ولا بقعة دم .
- كانت الطيور البيضاء تخلق على الماء .
- وصفارات السفن تسمع من بعيد . . وكل واحد ينهر في حالة .
- انتهت الضوضاء .
- وسور الكورنيش نظيف مغسول حتى الأسمنت الذي شتم قد تم
ترميمه وعاد إلى سالف حاله .
- لا أثر .
- ولا ذكر لذلك الذي كان . . ثم لم يكن .
- والسؤال ما زال كما هو بلا جواب .
- وأعواج البحر العالية ذابت واختفت .
- وانسط البحر كالخضير .
- والماء ما زال يوشوش هامساً بكلمة السر .

□ □ □

الشارق

كان البشر المسيحي يجمع حوله خلقه من الزئج العرة في صباح استراي شديد
الحرارة ، وأوراق أشجار الموز ترسل ظلالاً رحيمة ، وسجات الندى تلمع على
نمار الأناناس كأنها قناديل من الكريستال والرطوبة تقطر من الأنامل
وكان البشر يشرح رحمة الإنجيل . لا تسرق .
وكان الزئج العرة ينظرون إلى بعضهم البعض ولا يدبر عليهم أنهم يظهرون
شيئاً . فيها هو ذا الرجل الغري يكلمهم عن أشياء عجيبة .

لا تسرق ماذا . كل واحد ينظر إلى الآخر ويهمن .
إنهم عرة لا يملكون حتى تحرقه على اللحم . . . والفواكه على
الشجر . . . والصيد يروح في الغابة . . . والأرض لا صاحب لها . .
والكوخ ليس فيه شيء . . . ماذا يملكون ليسرقوا .
حتى الكوخ نبيه القبيلة لكل من يتزوج وتقدمه هدية لم يبق إلا
النارجيل .

ولكن كل من يطلب النارجيل تعطيه النارجيل ، فلماذا يسرقه
والغابة مليئة باليوس وكل من يريد أن يصنع لنفسه نارجيلاً
فأسهل عليه أن يصنع عشرات النارجيل ولا يسرق واحداً .
إن الرجل الأبيض يتكلم كلاماً غريباً .
أسهل أن يدخل الجمل ثقب إبرة من أن يدخل الغني جنة الله .

ولكن من هو الغنى هذا ؟

الذى يملك أموالاً كثيرة وضياعاً .

ولكن ليست عندنا أموال ولا ضياع .

ونحن لا نتعامل بالنقود .

نحن نتبادل الخدمات ونعيش بالمقايضة .

هذا مختلف . . سوف نصك لكم العملة ونعلمكم كيف

تستعملونها . . وبعد ذلك سوف ينشأ بينكم الأغنياء . . وبعد

ذلك سوف يكون الغنى حراماً .

ولماذا كل هذه اللفة الطويلة . . هذه أمور معقدة جداً . لقد بدأ

الدرس يصعب ويتعسر فهمه .

يجب أن يكون لكل واحد منكم زوجة واحدة فقط . . إن تعدد

الزوجات زنى ، وأمرًا منكراً لا يرضاه الله . . معصية كبرى .

وانبرى واحد من الزوج يقول فى ثلثه :

ولكنى قرأت يا سيدى فى الكتاب المقدس الذى وزعته علينا

مترجمًا بلغتنا . . أن النبى سليمان تزوج أكثر من سبعائة امرأة ،

وكانت له حليلات غير زوجاته ، وكذلك كان النبى داود . .

أرجوك يا سيدى اتركنا نمشى خلف داود وسليمان .

وظهر الحرج على وجه الرجل الأبيض وقال فى ارتباك :

- هذه أمور تاريخية وقد تغيرت ظروفها والله قد غير سنته وعلينا أن

نطبع كلماته .

- ولكنى يموت لى عشرة أبناء كل سنة بالمalaria والحمى والصفراء

ومرض النوم ولوتزوجت واحدة فلن يبق لى نسل .

- هذه مسألة لانهم .

فنظر كل زنجى إلى الآخر فى استغراب ثم قال أحدهم :

- وهل هى مسألة لانهم لله أيضًا .

- الله يحفظ عباده الأتقياء .

ولم يفهم أحدهم كيف يحفظ الله عباده الأتقياء من البعوض

وذهاب التسي تسي ، ولم يفهم أحدهم كيف يكون تقيًا .

ولكنهم فهموا جيداً أنهم لابد أن يتزوجوا كل واحد بواحدة ،

وانهم بهذا سوف يقرضون . . وأن هذه مسألة لانهم السيد

الأبيض فى شىء .

(ومسح البشر عرقه بمنديل حريرى جميل وقال) :

- هذا يكفى للدرس اليوم . . وكل واحد يذهب الآن إلى كوخه . .

وغدا نلتق فى المنجم .

وفى الغد كان رتل طويل من الزوج يعملون فى المنجم . .

يدخلون الأنفاق الطويلة ثم يخرجون حاملين جوالات معبأة

بالأنثى المعدنية .

وكان الرجل الأبيض واقفاً فى مدخل الأنفاق يدخن .

وخطر لأحد الزوج سؤال فاقترب من الرجل وحياه فى أدب ثم

قال :

- سيدى هل أستطيع أن أسأل . . إلى أين تأخذون هذا التراب ؟

(فأجاب الرجل فى انقصاب) :

الفهرس

صفحة

٣	الطوفان
٤٥	سكر وملون
٥٩	الوهم والحقيقة
٦٩	أنشودة الدم
٩٥	الكثر
١٠٥	أفيس مشير
١١٣	الرجل الذي تحول إلى خوضاء
١٢١	السارق

- إلى الباخرة الراسية في الميناء كما ترى .

(ولم يد الجواب شائياً لفصول الزيجي فعاد يسأل) :

- وأين تذهب الباخرة به بعد ذلك ؟

(فعاد الرجل يجيب في ضيق) :

- إلى انجلترا .

(لفكر الزيجي بسرعة ثم قال فجأة) :

- سيدى . . أليست هذه سرقة كما يقول الإنجيل ؟

(فأجاب الرجل عرجاً) :

- ولكنا سوف نعيدها إليكم مصنوعات جميلة .

(فقال الزيجي في فرحة) :

- وسوف توزعونها علينا مجاناً .

(فقال الرجل) :

- وهل هذا معقول أن يعمل العمال في بلادنا بدون أجر .

(فنظم الزيجي في استغراب) :

- هذه أمور عجيبة .

(وعاد يحمل جواله ويدخل النفق وهو ما زال يفكر . . ويقول لنفسه) :

لا شك هذه أمور عجيبة فما نحن أولاء نعمل بدون أجر . .

ونعطي لهم تراب أرضنا بلا ثمن .

لا شك أن ديانات هؤلاء الناس غريبة جداً .

رقم الإيداع	١٩٨٤ / ٥٥٦٣
الترقيم الدولي	ISBN ٩٧٧-٠٢-١٠٥٩-٥

١ / ٨٤ / ١٨٨

طبع بطناب دار المعارف (ج. ٢٠٠٤)

هذا الكتاب خاص بصفحة

Dr. Mostafa Mahmoud
